البيان في توضيح مجردة لوامع الأنوار

ح عبد الرحمن بن ناصر البراك، ١٤٤٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
البراك، عبد الرحمن بن ناصر بن براك
البيان في توضيح مجردة لوامع الأنوار. / عبد الرحمن بن ناصر بن براك البراك - ط ١.- الرياض، ١٤٤٦هـ
١٧٦ ص؛ ١٧×٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٥٩٣٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٤٣٠٤-٥

الطَّبعَةُ الأُولَى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

المَملَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّة
الرِّيَاض

الجَوَّال 00966505112242
البَرِيدُ الإِلِكتُرونِيُّ m@sh-albarrak.com
المَوقِعُ الرَّسمِيُّ sh-albarrak.com

إِصْدَارَاتُ مُؤَسَّسَةِ وَقْفِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَاصِرِ البَرَّاك (٢٤)

البيان في توضيح مجردة لوامع الأنوار

تأليف

عبد الرحمن بن ناصر البراك

مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة التحقيق



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَن والاه، أما بعد:

فنقدم لقرائنا الأكارم شرح «مُجرَّدة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار» لابن شُكْر الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو متن مختصر مفيد حوى على جملة طيبة من مسائل الاعتقاد.

وحرصًا من المكتب العلمي لمؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، وضمن مشروع نشر إنتاج الشيخ وتقريبه وتحقيقه؛ فقد عمد إلى جمع مادة شرح كتاب «مجردة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار»، الذي شرحه شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ في الدورة العلمية الأولى بجامع التقوى بحي الربيع بمدينة الرياض عام (١٤٢٢)؛ فعقد له ستة مجالس أتى على جميعه بالشرح والبيان، وكانت بداية هذه الدورة من الأول إلى السابع من شهر جمادى الآخرة، وقامت تسجيلات الراية الإسلامية -مشكورة- بتسجيل هذه السلسلة ونشرها؛ فانتشرت الدروس بين طلاب العلم، وفُرِّغت وتداولها الطلاب لما احتوى من تحريرات وفوائد، واقتُرِحَ على شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ إخراج الشرح ليعم نفعه.

وتداول العمل على أجزاء من هذا الشرح بعضُ طلاب العلم والمشايخ، وقُرئت مواضع منه على شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ؛ فعدَّل فيه تعديلات يسيرة، فالشكر موصول لكل من المشايخ: عبد الرحمن بن صالح السديس، وإبراهيم الأزرق؛

لما بذلوه من جهود في هذه المرحلة، وبقيت في الكتاب مواضع تحتاج لزيادة شرح وبيان، ولم تكن خدمة الكتاب وفق المنهج الذي يرتضيه شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ فبقيت مسوَّدته حبيسة الأدراج لسنوات؛ فقررنا أن نخرجه لينفع به شُداة العلم في أرجاء البسيطة؛ فبدأنا بقراءة الشرح كله على شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ قراءة متأنية للضبط والتكميل، واقترحنا عليه زيادة توضيح لبعض المسائل، وشرح بعض الفقرات الواردة في الكتاب؛ فأجاب إلى ذلك -متَّعه الله بالعافية- فكان يُقِرُّ ويُعدِّل، ويزيد وينقص، ويحرِّر ويدقق، وأملى ما يقرب الرُّبع من الكتاب دون الاعتماد أو الرجوع إلى المفرَّغ حتى استقام على هذه الصورة التي بين يديك.

واختار شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ أن يسمي شرحه هذا: «البيان في توضيح مجردة لوامع الأنوار».

وقد سرنا في العمل على هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

١. نسخ المخطوط، وهي نسخة فريدة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، قسم المخطوطات مجموعة الدِّلم، ضمن مجموع رقم: (٢٧/ ٧)، وتقع في ورقتين، وفي كل صفحة (٢٧) سطرًا، وهي بخط ابن العماد الحنبليّ صاحب «شذرات الذَّهب»، كما أشار في نهايتها، ونسخها في أواخر شهر صفر عام (١٠٥٩). ونشكر الشيخ عمير الجنباز الذي صوَّر المخطوطة وأرسلها لنا.

٢. قراءة المخطوط على شيخنا قراءة متأنية، واعتماد ترجيحاته، وتصويب التصحيفات الواقعة في الدورة العلمية، وطلَبَ شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ إثبات الصفحة الأولى والأخيرة من المخطوط، وإثبات المتن كاملًا قبل الشرح؛ لأن المتن غير مشهور وغير مطبوع.



٣. قراءة التفريغ كاملًا على شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ، وإثبات تعديلاته، وكتابة التعليقات الجديدة المحررة التي تزيد على ربع الكتاب دون الاعتماد أو الرجوع إلى المفرَّغ كما تقدَّم.

٤. تقسيم المتن إلى فقرات، ووضع عنوان لكل فقرة في أعلى الصفحة، والبدء بكلمة «الشرح» بين المتن والشرح، وكل ذلك من صنع شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

٥. توثيق النقول التي وردت في الشرح، وعزوها إلى مصادرها الأصلية.

٦. ربط بعض مباحث الكتاب بكلام أهل العلم المحققين.

٧. العناية بالإحالة إلى كُتب وشروح شيخنا في المسائل التي تناولها بتوسُّع في مصنفاته الأخرى.

٨. ضبط الكلمات المشكلة وتشكيلها بالحركات.

٩. العناية بعلامات الترقيم.

١٠. عزو الآيات إلى مواضعها من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وإثباتها على رواية حفص عن عاصم.

١١. تخريج جميع الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب.

والطريقة في ذلك ما يلي:

أ. إذا كان الحديث في الصحيحين، أو أحدهما نقتصر عليه في العزو.

ب. إذا كان الحديث في غير الصحيحين:

- خرجناه من أشهر مصادره الأصلية؛ كمسند الإمام أحمد، والسنن، وغيرها من المصادر الحديثية المعتبرة.

- ننقل ما تيسَّر من كلام أهل العلم عليه تصحيحًا أو تضعيفًا.

ج- نذكر اسم الصحابي راوي الحديث إلا أن يُذكر في المتن أو الشرح، وإذا كان الحديث مرويًّا عن أكثر من صحابي ذكرنا صاحب اللفظ وأشرنا إلى غيره تبعًا.

١٢. ترجمة الأعلام غير المشهورين.

١٣. التعريف بالفِرق غير المشهورة.

١٤. شرح معاني الكلمات الغريبة من المعاجم المختصَّة.

١٥. صنع فهرسة للموضوعات، وقائمة للمراجع.

ومما ينبغي أن يُعلم أن هذا الكتاب هو أول شرح لـ «مجردة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار»، وقد تميّز الشرح بالتركيز والدقة، واشتماله على مباحث غير موجودة في شروح شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ الأخرى.

وفي الختام نسأل المولى عَزَّوَجَلَّ أن ينفع بهذا الكتاب، ويكتب لشيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ جزيل الأجر والثواب، إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

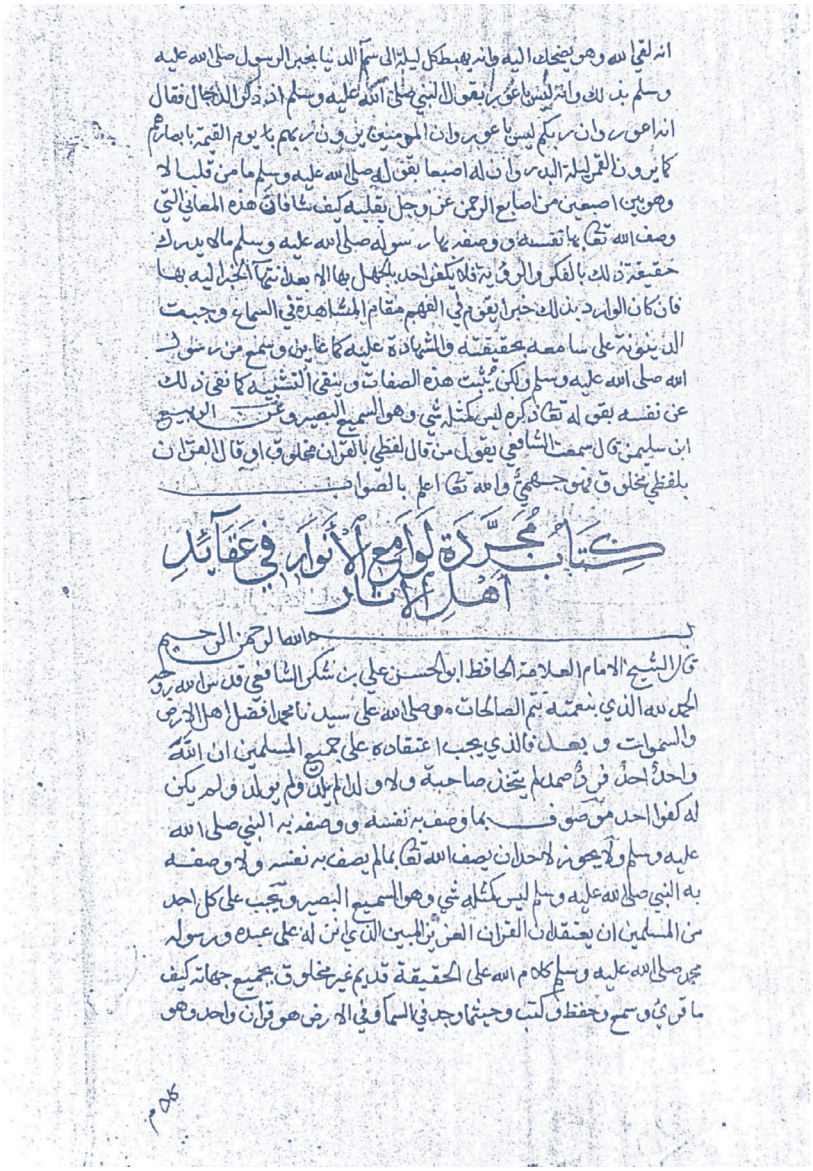
اللجنة العلمية في

مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك

للتواصل:

جوال: ٠٥٠٥١١٢٢٤٢

البريد الإلكتروني: m@sh-albarrak.com



انه لقي الله وهو يخاف اليه وانه يهبط كل ليلة الى سماء الدنيا بخبر الرسول صلى الله عليه
وسلم بذلك وانه ليس بأعور يقول النبي صلى الله عليه وسلم انذر قومك الدجال فقال
انه اعور وان ربكم ليس بأعور وان المؤمنين يرون ربهم يوم القيمة بأبصارهم
كما يرون القمر ليلة البدر وان له اصبعا بقول له صلى الله عليه وسلم ما من قلبا لا
وهو بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل يقلبه كيف شاء فان هذه المعاني التي
وصف الله تعالى بها نفسه وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم مما لا يدرك
حقيقة ذلك بالفكر والروية فلا يكفر احد بالجهل بها الا بعد انتهاء الخبر اليه بها
فان كان الوارد بذلك خبرا يقوم في الفهم مقام المشاهدة في السماء وجبت
الدينونة على سامعه بحقيقته والشهادة عليه كما غائبين وسمع من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولكن يثبت هذه الصفات وينفي التشبيه كما نفى ذلك
عن نفسه بقوله تعالى ذكره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وعن الربيع
ابن سليمان قال سمعت الشافعي يقول من قال لفظي بالقرآن مخلوق او قال القرآن
بلفظي مخلوق فهو جهمي والله تعالى اعلم بالصواب

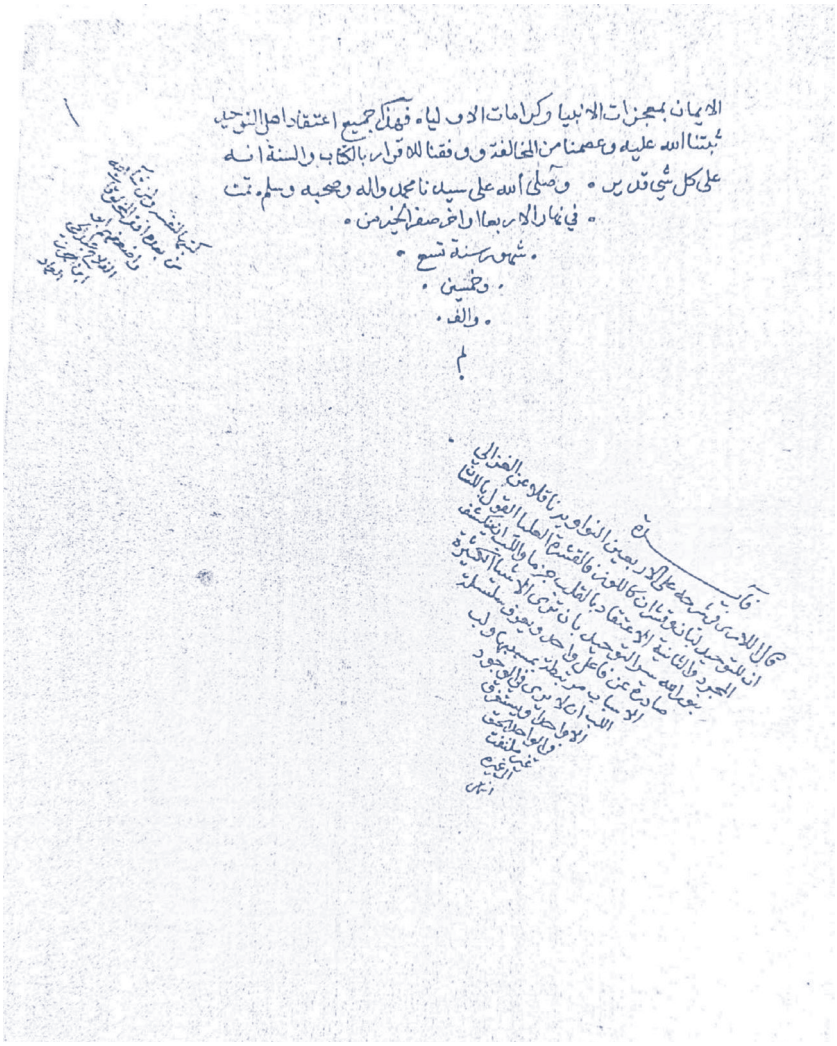
كتاب مجرد لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العلامة الحافظ ابو الحسن علي بن شكر الشافعي قدس الله روحه
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد افضل اهل الارض
والسموات وبعد فالذي يجب اعتقاده على جميع المسلمين ان الله
واحد احد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا لم يلد ولم يولد ولم يكن
له كفوا احد موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يجوز لاحد ان يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه
به النبي صلى الله عليه وسلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ويجب على كل احد
من المسلمين ان يعتقد ان القرآن الذي بين الدفتين الذي بأيدينا هو على عبده ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم كلام الله على الحقيقة قديم غير مخلوق بجميع جهاته كيف
ما قرئ وسمع وحفظ وكتب وحيثما وجد في السماء وفي الارض هو قرآن واحد وهو

كلام

الصفحة الأولى من المخطوط



الإيمان بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء فيهذا جميع اعتقاد أهل التوحيد
ثبتنا الله عليه وعصمنا من المخالفة ووفقنا للاقرار بالكتاب والسنة إنه
على كل شيء قدير . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. تمت
. في نهار الأربعاء آخر صفر الخير من .
. شهور سنة تسع .
. وخمسين .
. وألف .

الصفحة الأخيرة من المخطوط

متن كتاب: «مجردة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ الإمام العلامة الحافظ أبو الحسن علي بن شُكْر الشافعي -قدَّس الله روحه-:

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ أفضلِ أهلِ الأرضِ والسموات، وبعد:

فالذي يجب اعتقادُه على جميع المسلمين: أنَّ الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يتخذ صاحبةً ولا ولدًا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، موصوفٌ بما وصفَ به نَفسَه، ووصفَه به النبيُّ ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به النبي ﷺ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

ويجبُ على كلِّ أحدٍ من المسلمين أن يعتقدَ أنَّ القرآنَ العزيزَ المبينَ الذي أنزله على عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ كلامُ الله على الحقيقةِ، قَديمٌ، غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاته كيف ما قُرئ وسُمع وحُفظ وكُتب، وحيثما وُجد في السماء وفي الأرض هو قرآنٌ واحد، وهو كلامُ الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن]، **وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾** [النمل]، **وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ**

ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت]، **وقال:** ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨]؛ **أي غير مخلوقٍ، وقال تعالى:** ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، **وقال تعالى:** ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾﴾ [الجن]، **وقال:** ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، **وقال:** ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة]، **وقال:** ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

ومَن قال بخلق القرآن فهو كافرٌ، والواقفون في القرآن كفَّار، ومَن زعم أنَّ القرآن لم يصل إلى الدنيا، ولا وُجد بها، فقد جحدَ ما أنزل الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، **وقال تعالى:** ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، **وقال:** ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل]، **وما كان لِيأمُره أن يرتِّل القرآنَ ويؤكِّدَه بالمصدر، ولا وصل إليه! تعالى الله عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا.**

ويجب أن نعتقدَ أنَّ الله تعالى كلَّم موسى تكليمًا، بكلامٍ قديمٍ مسموعٍ مفهومٍ، من ذات الله تعالى، بلا واسطةٍ بينهما، وكذلك كلُّ مَن خاطبه ممَّن أخبر عنه.

ويجب أن نعتقدَ أنَّ لله الأسماء الحسنى، تسعةً وتسعين اسمًا، مئةً إلَّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة. والله وِترٌ يحبُّ الوِتر.

ويجب أن نعتقدَ في جميع أسماء الله تعالى أنَّ الاسمَ للمسمَّى، لا هو المسمَّى ولا غير المسمَّى، بل الاسم للمسمَّى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ

ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فأضافَ جميع الأسماء إليه، وأدخلَ عليها لام الاستحقاق.

ويجب أن نعتقد أنَّ الله موصوفٌ بما وصف به نفسَه من الصفات، سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، قديرٌ، حيٌّ، مُريدٌ، ووُصِفَ بالنَّفْس، والذَّات، والوجه، والعين، واليَدِ -وكلتا يديه يمين- والأصابعِ، والقدَمِ، وأنه يضحك، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وجميعُ هذه يجب إثباتها لله صفاتٍ لذاته، لا هي هو، ولا هي غيره، بل صفاتٌ له كما جاءت من غير كيفيةٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تأويلٍ، ولا تفسير تعالى الله، تعالى أن يُشبِه شيئًا أو يُشبهه شيءٌ.

والكلامُ في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات، فإذا كان إثبات الذات إثباتَ وجودٍ لا إثباتَ كيفيةٍ وتشبيهٍ فكذلك إثبات الصفات، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]، وليس ما وصف الله تعالى به نفسَه ووصفَه به نبيُّه تشبيهًا.

ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى استوى على عرشه، وأنه عالٍ فوق عباده ولا أسفل منهم، وعلمه وقدرته محيطٌ بهم، وأنَّه بائنٌ من عرشه، والعرش بائنٌ منه، والاستواء معلومٌ، والكيف غير معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والجحود به كفرٌ، فتعالى الله أن يكون مُدرَكًا بحدٍّ، أو مُكيَّفًا بصورة خَلقٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأبصارهم من غير حَدٍّ ولا كيف، والكفار عن رؤيته محجوبون.

ويجب الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخر والجنةِ ونعيمها والنارِ وأليم عِقابها، والشفاعةِ، وذبحِ الموت، والحوضِ المكرم به نبيَّنا ﷺ، والصراطِ، والميزانِ، وخروجِ الدجالِ، والدابةِ، وطلوعِ الشمس من مغربها،

ونزولِ عيسى بن مريم، يقتلُ الدجالَ ويكسرُ الصليبَ ويقتل الخنزير، والبعثِ والنشور، والعرضِ والحسابِ، وعذابِ القبر ومُساءلةِ مُنكرٍ ونكيرٍ، والجنِّ والشياطين، وأن لا يُخلَّد في النار مَن في قلبه مثقال حبَّةٍ من خردل من إيمان، ويجب الإيمان بالقدر خيره وشرَّه من الله تعالى.

ويجب أن نعتقد أنَّ الإيمان الشرعي قول وعمل ونيَّة، ولا يكون مؤمنًا إلَّا بمجموع هذه الخصال كلِّها مع ترك النواهي، وأنَّ الإيمان يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي.

ويخرجُ الرجل بفعل الكبيرة من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام بشيءٍ إلَّا بالشرك بالله تعالى، والمؤمن مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، لا نكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ، فإن تاب تاب الله عليه، وإن مات من غير توبةٍ فأَمرُه إلى الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له.

ولا نقطع لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ بعد النبي ﷺ، ومَن شهدَ له النبي ﷺ بالجنة فهو من أهل الجنة، يجب التصديق به.

والاستثناء مشروعٌ في الإيمان؛ وهو أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وليس بشكٍّ في إيمانه، وإنَّما هو استثناءُ خوفٍ وإشفاقٍ.

ويجب أن نعتقدَ أنَّ النبيَّ ﷺ أفضلُ الأنبياء، وكتابَه أعزُّ الكتب، وأمَّتَه خيرُ الأمم، وخيرهم أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ -رضي الله عنهم أجمعين-، ومَن اعتقد أنَّ عليًّا أحقُّ بالخلافة من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن اعتقد خطأهم كفَر. ونترحَّم عليهم، ونتحدَّث بفضائلهم، ونسكت عما شجر بينهم.

ويجب الإيمانُ بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

فهـذا جميعُ اعتقـاد أهلِ التوحيد، ثبَّتنا الله عليـه، وعصمنا من المخالفة، ووفَّقنا للإقرار بالكتاب والسـنَّة، إنه على كلِّ شـيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّمَ.

تمَّت في نهار الأربعاء أواخر صفر الخير من شهور سنة تسع وخمسين وألف.

كتبها لنفسـه ولمن شـاء الله من بعده أفقر مخلوق وأضعفهم: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد.

◆◈◈◈◆



مقدمة الشرح

الحمد لله، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه، ومَن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإنَّ علم الشريعة نوعان: علمُ اعتقادات، وعلمُ أعمال. وإن شئت فقل: إنَّ الشريعة نوعان: اعتقادات وأعمال، يدلُّ لذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٢٨﴾ [الفتح]. قال المفسرون: ﴿بِٱلۡهُدَىٰ﴾ هو العلم النافع، ﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾ العمل الصالح[(١)]؛ فدين الإسلام علمٌ وعملٌ، وقد تضمن هذين النوعين كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، فهما المصدر لعلم الشريعة أو علم الدين، وإنَّما يُستمدُّ علمُ الشريعة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ، وكان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقرؤون كتاب الله، ويروُون سنَّة رسول الله ﷺ، وليس عندهم تصنيفٌ للعلوم، إنَّما هو العلم بهذا القرآن، وبحديث رسول الله ﷺ، والعملُ بذلك.

وقد نشأت بعد ذلك: العلوم الشرعية، والعلوم المساعدة؛ كالعلوم اللغوية؛ لحاجة الناس إلى التصنيف والتنويع؛ لأنَّ ذلك ممَّا يُعين على فَهم مسائل الدين، ولأسباب كثيرة طرأت على الأمة أوجبت هذا التنوُّع في العلوم

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٦)، (٧/ ٣٠٣)، (٧/ ٣٦٠)، والسعدي (ص٧٩٥).

الشرعية على تنوُّع مناهجها؛ كالتفسير، وعلم رواية الحديث، وما يتبع ذلك من العلوم الحديثية؛ كعلم الرجال، وكذلك العلوم اللغوية.

وكان مما حدث من تصانيف العلوم الشرعية الأساسية: علمُ التوحيد، أو علمُ العقيدة، كما حدث التصنيف في علم الفقه المتعلِّقِ بالأعمال الظاهرة؛ كأحكام الطهارة والصلاة والزكاة.

وعلى هذا درج أهل العلم، فصنفوا مصنفات كثيرةٍ في مسائل الاعتقاد، وكذلك مصنفات كثيرةٍ في أحكام أفعال المكلَّفين، سواء كانت مصنفات حديثية تقتصر على ذِكر الأدلة والتبويب لها، أو مصنفات فقهية تجمع المسائل، وتُتبِعها بذكر الأدلة أو التعليلات المستنبطةِ من الأدلة.

ومن المؤلَّفات في مسائل الاعتقاد -تأليفًا مختصرًا- هذا المؤلَّف المسمَّى بـ «مُجرَّدة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار»، ويظهر من الاسم أنَّ هذا مؤلَّفٌ مختصرٌ -من مؤلف للمؤلف أو لغيره- في مسائل اعتقاد السلف حيث قال المصنف: «في عقائد أهل الآثار»، ومثله قول أبي عثمان الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مصنَّفه المعروف بـ «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»، فأهل الآثار هم الذين يُعوِّلون في دينهم على المأثور والمنقول.

وهذا المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أبو الحسن علي بن شُكْر -بضم الشين وسكون الكاف- الشافعي، غير مشهور، وليست له ترجمة وافية في المصادر المعروفة، إلا ما قاله الذهبي في «تاريخ الإسلام»[(١)]؛ قال: «علي بن شكر بن أحمد بن شكر: القاضي العالم جمال الدين أبو الحسن ابن القاضي أبي السعادات،

(١) (١٣/ ٤٨٠ رقم ٣٩٢).

المصري، الفقيه الشافعي. سمع من: أبي عبد الله الأرتاحي[١]، والحافظ عبد الغني، وجماعة، ورحل إلى الشام والعراق وحدَّث، وجمع في السُّنة والصفات، وفي الرقائق. وتوفي في رجب» سنة ست عشرة وست مئة[٢].

ولكن التعويل إنما هو على ما سطَّره في هذا المختصر النافع.

◆◈◈◈◆

(١) هو أبو عبد الله محمد بن حمد بن حامد الأرتاحي، الشيخ الثقة، الصالح، الخيِّر، المسند، ولد تقريبًا سنة (٥٠٧) سمع من أبي الحسن علي بن نصر الأرتاحي بمصر، والمبارك بن علي الطبَّاخ بمكة، روى عنه: الحافظ عبد الغني، والحافظ ابن المفضل، توفي في العشرين من شعبان سنة (٦٠١). ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤١٥ رقم ٢١١)، وذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٦٧ رقم ٢٤٢).

(٢) ينظر: تكملة إكمال الإكمال (ص٢٢١).

أصل الدين وما يجب اعتقاده على جميع المسلمين

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ أفضلِ أهلِ الأرضِ والسموات، وبعد:

فالذي يجب اعتقادُه على جميع المسلمين: أنَّ الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، موصوفٌ بما وصف به نفسَه، ووصفَه به النبيُّ ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به النبي ﷺ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى].

الشرح

استهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامه بهذه الخطبة القصيرة؛ **فقال: (الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ)**؛ فبدأ بحمد الله، وهذا هو الذي ينبغي في باب التأليف والكلام، أن تبدأ بحمد الله والثناء عليه، كما كان هدي النبي ﷺ؛ فإنه ﷺ كان يستهل خطبه بحمد الله والثناء عليه، كما جاء في خطبة الحاجة: «**إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره**»[(١)].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مختصرًا، وأخرجه أحمد (٣٧٢٠)، وأبو داود (٢١١٨)، والنسائي (١٤٠٤)، وابن ماجه (١٨٩٢) من حديث ابن مسعود =

وحَمدُ الله هو الثناء عليه بالمحامد، وهو المستحق لجميع المحامد، وهو الموصوف بجميع صفات الكمال؛ فالثناء كلُّه والحمد كلُّه إنما يستحقه الرب تعالى، والألف واللام في (الحمد) للاستغراق؛ يعني الثناء كلُّه بالمحامد وصفات الجمال والكمال لله وحده، وهو المستحق لذلك الحمد.

ومن أهل العلم مَن سوَّى بين الحمد والشكر[١]، ومنهم مَن فرَّق بينهما، والتحقيق أنَّ الشكر توجبه النعمة، والحمد أعمُّ من ذلك، فإنَّ الحمد يكون على النعمة وغيرها[٢].

والله تعالى محمود على كلِّ حال، فهو المحمود على كلِّ ما يفعله ويقدِّره، وهو المحمود لِمَا له من الأسماء الحسنى والصفات العلى.

والله تعالى قد حَمِد نفسه، وعلَّم عباده كيف يحمدونه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام]، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف]. وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [سبأ: ١]. وقال: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص].

وقول المصنف: (الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ): هذا حَمدٌ مشهور في لسان أهل العلم، وهو ثناءٌ على الله بوصفه أنه بنعمته تتم الصالحات،

= رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مطوَّلًا، ووردت هذه الخطبة أيضًا عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ينظر: خطبة الحاجة للألباني.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ١٣٣)، ومدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

وقد جاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ من حديث عائشة وغيرها[١]. والذي يظهر من معنى هذا الثناء؛ أنه بإنعامه وبفضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تتمُّ الأعمالُ الصالحات، فالله تعالى هو الذي يوفِّق عبده للأعمال الصالحة، ويُعينه عليها وعلى إتمامها، فإذا وُفِّق العبد لعملٍ فبفضله سبحانه؛ فالعبد في حاجة أولًا إلى أن يعينه الله على الابتداء، وهو في حاجة إلى إمداد الله ومعونته على التمام، فمردُّ الأمور كلها بدايةً ونهايةً إلى الله تعالى، فبنعمته تتم الصالحات، ويُوفَّق العبد للأعمال الصالحات ابتداءً، وبنعمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُوفَّق لتمامها وإكمالها أيضًا، وبنعمته يتحقق للعبد القبول، فإنَّ قبول الأعمال الصالحة هو غايتها وتمامها، فبنعمته تعالى تتم الصالحات.

قوله: (وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ أفضلِ أهلِ الأرضِ والسموات):

هذا دعاء من العبد للنبي ﷺ بأن يصلِّي الله عليه، وهذه حقيقة صلاتنا عليه: أن ندعو الله بأن يصلي عليه بأي لفظ؛ كقولنا: صلى الله عليه، وقولنا: اللهم صلِّ عليه، أو قولنا: عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وأفضل ذلك الصلاة الإبراهيمية التي علَّمها النبي ﷺ أصحابه: «**اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد...**» إلى آخره[٢]، أمَّا الصلاة من الله على نبيه فأحسن ما قيل في معناها: هو ثناؤه على عبده، كما

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٣)، وصححه الحاكم (١٨٤٠). وينظر: الصحيحة (٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث كعب بن عجرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
وقد جاءت صيغ كثيرة في الصلاة عليه ﷺ، حتى جمعها بعض المتقدمين فبلغت ثمانيًا وأربعين صيغة؛ منها عن النبي ﷺ ستٌّ وثلاثون، والباقي عن الصحابة والتابعين، وقد أورد منها صديق حسن خان نحو ثلاثين صيغة، كلها مرفوعة إلا واحدة، وخرَّج الألباني سبعة منها. ينظر: نزل الأبرار لصديق حسن خان (ص١٦٧-١٧١)، وأصل صفة الصلاة للألباني (٣/ ٩١٣).

جاء عن أبي العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصلاة من الله ثناؤُه على عبده في الملأ الأعلى»[(١)]، وقوله: (**على سيِّدنا محمدٍ أفضلِ أهلِ الأرضِ والسموات**) يعني أفضل الخلق، ولو قال على نبينا محمد لكان أولى؛ لأنَّ السيادة أعمّ، فقد تثبت صفة السيادة بغير النبوة، لكن السيادة التي لنبينا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سيادة مطلقة؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «**أنا سيدُ ولدِ آدم ولا فخرَ**»[(٢)]، فهو سيدُ البشر، وعلى هذا فهو سيدُ المرسلين، فالرسل هم أفضل الناس وهو سيدهم على الإطلاق، وتظهر هذه السيادة يوم القيامة حين يَتَرادُّ الأنبياءُ الشفاعةَ من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى، حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، كلُّهم يعتذر حتى إذا انتهوا إليه ﷺ قال: «**أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذَن لي، ويُلهمني محامِدَ أحمده بها لا تحضُرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأَخِرُّ له ساجدًا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يُسمع لك، وسَل تُعط، واشفع تُشفَّع**»[(٣)]. فتظهر سيادته لجميع الناس في ذلك المقام، وهو المقام المحمود الذي نوه الله به في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء][(٤)]. وأمَّا كونه أفضل

---

(١) علَّقه البخاري في صحيحه عن أبي العالية (٦/ ١٢٠) في «كتاب التفسير»، «باب قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]» عند حديث (٤٧٩٧) بنحوه. ووصله إسماعيل القاضي في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٥). وينظر: فتح الباري (٨/ ٥٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذي (٣١٤٨)، (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) -واللفظ له- من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حديث حسن». وينظر: الصحيحة (١٥٧١).
وفي مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**».

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠) -واللفظ له-، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) صح ذلك عن أنس وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. كما في البخاري (٧٤٤٠)، (١٤٧٥)، وينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٣-٤٧)، وابن كثير (٥/ ١٠٣).

أهل الأرض والسموات، فمأخوذ من تفضيل صالحي البشر على الملائكة[١]، فالرسل أفضل من الملائكة، فإذا كان الرسل والأنبياء أفضل من الملائكة، ومحمد ﷺ هو أفضلهم؛ فالنتيجة أنه أفضلُ أهل الأرض والسموات ﷺ.

ثم قال: (وبعد): أصلها «أمَّا بعد»، وهي جملة شرطية، ومعناها مهما يُذكَر من شيءٍ بعدُ فهو كذا وكذا[٢]، وكان النبي ﷺ يستعملها في خطبه[٣]، وهي جملة يؤتى بها للانتقال من افتتاح الكلام إلى ذكر المقصود، وقد تكلم عنها المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص]، فقال بعضهم: إنَّ المراد بفَصلِ الخطابِ: «أمَّا بعد»، وهو قول مرجوح؛ بل فصل الخطابِ هو الخطابُ الذي يحصل به الفصل بين الحق والباطل، ويحصل به قطع النزاع[٤]. ويتكلم عنها شرَّاح الحديث في شرح خطبه ﷺ[٥]، ويتكلم النُّحاةُ في إعرابها. ولكثرة استعمالها صار بعض الناس يختصرها بقوله: «وبعد»، والأولى عدم اختصارها وذِكرها كما وردت في اللغة وفي الحديث.

ثم شرع المؤلف في المقصود؛ **فقال: (فالذي يجب اعتقادُه على جميع المسلمين أنَّ الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ، لم يتَّخذ صاحبةً ولا ولدًا، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾)**: لا شكَّ أنَّ هذا يجب اعتقاده على كلِّ المكلَّفين؛ لأنَّ الكافر يجب عليه أن يؤمن بأنَّ الله واحدٌ أحدٌ، وأن يترك الشرك،

---

(١) ينظر الخلاف في: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٥٠)، والحبائك في أخبار الملائك (ص٢٠٣).
(٢) ينظر: الكتاب لسيبويه (٣/ ١٣٧)، والجنى الداني (ص٥٢٢).
(٣) وقد بوَّب البخاري في صحيحه: «باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أمَّا بعد»، وذكر جملة من الأحاديث (٩٢٢-٩٢٧).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩)، وزاد المسير (٣/ ٥٦٤).
(٥) ينظر: شرح مسلم للنووي (٦/ ١٥٦)، وفتح الباري (٢/ ٤٠٤).

لكن ابن شكر لمَّا ألَّف هذا المختصر في مسائل الاعتقاد للمسلمين؛ ليعرفوا ما يجب عليهم، اقتضى له ذلك أن يقول: **(الذي يجب اعتقاده على جميع المسلمين)**، والاعتقاد هو ما يَعقِد الإنسان قلبَه عليه، وهو العلمُ الجازم المتيقِّن، ومن شأنه أن يكون يقينًا[١]، لكن إن كان الاعتقادُ مطابقًا للواقع فهو اعتقاد صحيح، وإن كان غيرَ مطابق للواقع فهو باطلٌ.

إذن: فجنس الاعتقاد منه ما هو حقٌّ، ومنه ما هو باطلٌ، فاعتقاد ما أخبر اللهُ به ورسولُه، وما دلَّت عليه نصوصُ الكتاب والسنَّة هذا هو الحقُّ، وكلُّ اعتقادٍ يخالف ما دلَّ عليه كتابُ الله وسنَّةُ رسوله ﷺ فهو باطلٌ.

والاعتقاد يتعلَّق بالقلب ويظهر أثره على الجوارح، ويُعبَّر عنه في لسان الشرع بالإيمان، كما قال ﷺ: «**الإيمانُ أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتُؤمن بالقَدَر خيرِه وشرِّه**»[٢]، فهذا الإيمانُ هو الاعتقاد كما يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: «أمَّا بعد؛ فهذا اعتقادُ الفِرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنَّة والجماعة وهو الإيمان...»[٣].

فالاعتقاد الحقُّ هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والإيمان هو التصديق الجازم المتضمن للانقياد والقبول.

ثم قال المؤلف: (الله واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ) أي: فالذي يجب اعتقاده على كل مسلم أنَّ الله واحد أحد. والواحد الأحد: اسمان من أسماء الله وردا

---

(١) ينظر: تاج العروس (٨/ ٣٩٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، (١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٣) العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٩).

في القرآن، أمَّا اسمُه الواحد، فجاء في مواضع، مفردًا ومقرونًا بالقهار، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر]، وأمَّا الأحد فلم يأت إلا في سورة الإخلاص، وكلٌّ من الاسمين يدل على وحدانيته وتفرُّده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو أحدٌ، وهو واحدٌ لا شريك له ولا شبيه له ولا نِد له، فهو واحدٌ في ربوبيته، فلا رب غيره، وفي إلهيته، فلا إله سواه، وفي أسمائه وصفاته، فلا شبيه له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

وهذان الاسمان -أي الواحد والأحد- يتضمنان التوحيد بأنواعه الثلاثة، والذي يظهر لي أنَّ «أحد» أدلُّ على التوحيد العلمي الاعتقادي من «واحد»؛ ولهذا ذكره الله في سورة الإخلاص المتمحِّضة للتوحيد العلمي الاعتقادي.

والتوحيد نوعان: توحيد علمي اعتقادي، وتوحيد عملي، وهذه طريقة شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره في تقسيم التوحيد، يقول: إنَّ التوحيد نوعان: توحيد في العلم والقول، وتوحيد في الإرادة والعمل[(١)].

ولا منافاة بين الطريقتين في التقسيم، فإننا إذا قلنا: إنَّ التوحيد نوعان: علمي وعملي، فيدخل في العلمي توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات؛ لأنَّ مضمونهما إفراد الله بأمور علمية اعتقادية، أمَّا توحيد العبادة، أو توحيد الألوهية فهو إفراده تعالى بالعمل: من المحبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والصلاة، والنَّحر، والصيام، والجهاد، وغير ذلك من أنواع العبادة[(٢)]. وقد تضمَّنت نوعي التوحيد سورتا الإخلاص والكافرون، فتضمَّنت التوحيدَ العلمي

(١) ينظر: منهاج السنة (٣/ ٢٩٠)، ومدارج السالكين (٤/ ٤٤٩).
(٢) ينظر: الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص١٩-٢٠).

الخبري سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾، وتضمنت الثاني سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون][(١)].

وذِكر المؤلف «الواحد» و«الأحد» جميعًا نوعٌ من التأكيد، وفيه بيانُ أنَّ الله تعالى مسمًّى بهذين الاسمين، فهو الواحدُ وهو الأحدُ، وهما اسمان من أسماء الله الحسنى.

وأمَّا الفرد فهو بمعناهما، ولكن لا أعلم أنه ورد في شيءٍ من المأثور الصحيح[(٢)]، لكن معناه صحيح، فالفرد بمعنى الواحد، فذِكر الفرد مع الواحد والأحد، إنَّما هو تأكيدٌ لِمَا يجب اعتقاده من وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وأمَّا اسمه الصمد فلم يرد في القرآن إلا في سورة الإخلاص، وأجمع ما ورد في تفسيره ما جاء عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «السيد الكامل في سُؤدَدِه،

---

(١) ينظر: شرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص٧٩).

(٢) ورد في حديث ضعيف جدًّا، أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر (١٥٥)، ومن طريقه: البيهقي في الأسماء والصفات (١٦٠) عن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] الآية. فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم إنك أمرت بالدعاء وتكفلت بالإجابة؛ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، أشهد أنك فردٌ أحدٌ صمدٌ، لم تلد ولم تولد، ولم يكن لك كفوًا أحد**..» الحديث.

وساق بعدها البيهقي (١٦١) أثرًا عن محمد بن طلحة، عن رجل قال: إن عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان إذا أراد أن يحيي الموتى؛ صلى ركعتين، يقرأ في الأولى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، وفي الثانية: «تنزيل السجدة» فإذا فرغ مدح الله تعالى فأثنى عليه ثم دعا بسبعة أسماء: «يا قديم، يا حفي، يا دائم، يا فرد يا وتر، يا أحد يا صمد»، وقال البيهقي: «ليس هذا بالقوي، وكذلك ما قبله، والله أعلم».

وجاء في أحاديث أخرى لا تصح كما في مسند الروياني (٢٤)، والأحاديث الطوال للطبراني (٣٦)، والديباج للخَتْلي (١١٥)، وطرق حديث «**إنَّ لله تسعًا وتسعين اسمًا**» لأبي نعيم (٩١).

والحكيم الكامل في حكمته، والعليم الكامل في علمه، والغنيُّ الكامل في غناه، وهو الذي قد كَمُل في أنواع الشرف والسُّؤدَد، وهو الله سبحانه هذه صفته، لا تنبغي إلا له»[(١)]، وممَّا قيل في معنى الصمد -وهو معنى صحيح: أنه الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها[(٢)]؛ وهذا المعنى من لوازم المعنى الأول، فهو الغنيُّ الغنى المطلق عن كلِّ ما سواه، وكلُّ أحدٍ فقير إليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر].

فهو الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، كما وصف نفسه ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾، هذا المعنى تضمنته سورة الإخلاص؛ فالآيتان الأوليان تضمنتا الإثبات: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢﴾؛ فهذا إثباتٌ، وقوله: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾ نفيٌ.

وفي نفي الوالد والولد والكفؤ تأكيد لكمال أحَديَّته وصمديَّته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، ونفي الولد عن الله جاء في مواضع كثيرة؛ ردًّا على اليهود والنصارى والمشركين وسائر مَن يشتُمه تعالى بنسبة الولد إليه، ومن ذلك قوله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال فيما أخبر به عن الجنِّ في وصفهم وثنائهم على الله: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ [الجن]، أي: ليس له صاحبة ولا ولد، فهو المنزَّه عن الصاحبة والولد، وذلك لكمال أحَديَّته وكمال غناه، والجاهلون بالله قد نسبوا إليه الولد؛ بل هناك مَن نسب إليه الصاحبة وقالوا -كما حكاه بعض السلف عنهم-[(٣)]: إنَّ الله تعالى أصهَر

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (٢٤/ ٧٣٦) بنحوه.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٧٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٥٠٦).

(٣) علَّقه البخاري عن مجاهد، في «كتاب بدء الخلق»، «بابُ ذكرِ الجن وثوابهم وعقابهم»، عند حديث (٣٢٩٦). وينظر: تفسير الطبري (١٩/ ٦٤٥).

إلى سَـرَوات الجن[١]، يعني اتخذ له صاحبة من الجن -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا- كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الصافات]؛ فالله نزَّه نفسه في كتابه عما افتراه المشركون.

قوله: (موصوفٌ بما وصفَ به نفسَه، ووصفَه به النبيُّ ﷺ، ولا يجوز لأحد أن يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به النبي ﷺ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]): هذا ممَّا يجب اعتقادُه على جميع المسلمين، أنه تعالى مستحقٌّ لجميع صفات الكمالِ التي وصف بها نفسَه، ووصفَه بها رسولُه ﷺ. ويجب على كلِّ مسلمٍ أن يُؤمن بكلِّ ما وصف الله به نفسَه إثباتًا ونفيًا؛ فيُثبت لله ما أثبتَه لنفسه من الصفات، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، ويُؤمن بما وصف به الرسول ﷺ ربَّه، وينفي عنه ما نفاه كذلك، هذا هو اعتقاد أهلِ السنَّة والجماعة، ومنهجُهم في ذلك: وصفُ الله بما وصف به نفسَه، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، ولا إلحادٍ في أسمائه وآياته؛ فيثبتون له ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه من الصفات مع نفي مماثلته تعالى للمخلوقات، وينفون عنه تعالى ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه من النقائص والعُيوب، وبهذا يخالفون -أعني أهلَ السنَّة- طائفتَي المشبِّهة والمعطِّلة، فإنَّ مذهب أهل السنَّة والجماعة في هذا الباب وغيره وسطٌ بين فرقِ الضَّلالِ[٢]؛ فهم في باب الأسماء والصفات وسطٌ بين أهل التعطيلِ

---

(١) أي: ساداتهم وشرفاؤهم. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٦٣)، وفتح الباري (٦/ ٣٤٦).

(٢) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص٣٢)، (ص١٤٦).

الجهميَّـةِ، وأهل التمثيلِ المشـبِّهةِ؛ فمذهبُهم بريءٌ مـن التعطيل وبريءٌ من التمثيـل، وقد دلَّ على ذلك قوله تعالـى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشـورى]، فقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ردٌّ للتشـبيه والتَّمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ ردٌّ للإلحاد والتعطيل؛ فعُلِم بذلك أنَّ الحقَّ بخلاف ذلك، وهو ما هدى الله إليه أهلَ السـنَّة والجماعة وهو الصراطُ المستقيمُ، فمذهبهم في بـاب الصفات يقومُ علـى ثلاثة أصـولٍ: الإثباتُ، ونفـيُ التَّمثيل، ونفيُ العلمِ بالكيفية[١].

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص٣٦٥).



اعتقاد أهل السنة في القرآن وفي كلام الله

ويجبُ على كلِّ أحدٍ من المسلمين أن يعتقدَ أنَّ القرآنَ العزيزَ المبينَ الذي أنزله على عبدِه ورسولِه محمدٍ ﷺ كلامُ الله على الحقيقةِ، قديمٌ، غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاته كيف ما قُرِئ وسُمع وحُفظ وكُتب، وحيثما وُجد في السماء وفي الأرض هو قرآنٌ واحدٌ، وهو كلام الله تعالى يقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل]، وقال: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت]، وقال: ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ﴾ [الزمر: ٢٨]؛ أي غير مخلوقٍ، وقال تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١﴾ [الجن]، وقال: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨٠﴾ [الواقعة]، وقال: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ۝٢٢﴾ [البروج].

ومَن قال بخلق القرآن فهو كافرٌ، والواقفون في القرآن كفَّار، ومَن زعم أنَّ القرآن لم يصل إلى الدنيا، ولا وُجد بها، فقد جحدَ ما أنزل الله تعالى؛ لقوله

تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، وما كان لِيأمُره أن يرتِّل القرآنَ ويؤكِّدَه بالمصدر، ولا وصل إليه! تعالى الله عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا.

ويجب أن نعتقدَ أنَّ الله تعالى كلَّم موسى تكليمًا، بكلامٍ قديمٍ مسموعٍ مفهومٍ، من ذات الله تعالى، بلا واسطةٍ بينهما، وكذلك كلُّ مَن خاطبه ممَّن أخبر عنه.

الشرح

بيَّن الله تعالى فضائل القرآن ومنزلتَه في القرآن، وقد وصفه بصفات كثيرةٍ: فهو القرآن العظيمُ، وهو الكريم، وهو المجيد، وهو العزيز، وهو الكتاب المبين، كما قال الله تعالى في آياتٍ: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف]، وقال في آيات: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس] والمؤلفُ يقرِّر بما ذَكره أنه يجب على كلِّ أحدٍ من المسلمين أن يُؤمن بأنَّ القرآن هو كلامُ الله على الحقيقة لا المجازِ.

فالقرآنُ الذي بين دفتي المصحفِ، الذي أوَّله سورةُ الفاتحة أمُّ القرآن، وآخرُه سورة الناس، هذا القرآنُ هو كلامُ الله، تكلَّم به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وسمعَه منه جبريل، وبلَّغه لمحمدٍ ﷺ، وبلَّغه محمد ﷺ أصحابه، وأصحابُه تلقَّوه وحفظوه وبلَّغوه، وقد ضَمن الله حفظ هذا القرآن؛ ولهذا وصل إلينا غَضًّا طريًّا، ولا يزال محفوظًا إلى آخر الدَّهر، حتى يُرفع من المصاحف والصدور، عندما يوشك انتهاءُ عمر هذه الدنيا، ويوشك قيام القيامةِ على شرار الخلقِ،

عندئذٍ يُرفع هذا القرآن[١]؛ ولهذا قال أهلُ السنة: إنَّ القرآن كلامُ الله مُنزَّل غير مخلوقٍ، منه بدا -أي ظهر[٢]- وإليه يعودُ[٣]، إشارةٌ إلى رفعه في آخر الزمان كما جاءت به الآثار[٤].

وقوله: (كلامُ الله على الحقيقةِ): يعني تكلَّم به حقيقةً؛ فالله يتكلَّم بما شاء إذا شاء كيف شاء على الحقيقة، وأكَّد ذلك المؤلف؛ لأنَّ القائلين بأنَّ القرآن مخلوقٌ -كالجهمية والمعتزلة- يقولون: هو كلام الله، لكن يَعنون أنه كلامٌ مخلوقٌ، فإضافتُه -على قولهم- إضافةُ مخلوقٍ إلى خالقه لا إضافة صفةٍ إلى موصوفٍ، فعلى قولهم إضافة الكلامِ إلى الله مجازًا؛ لأنَّ الكلام لا يُضاف حقيقةً إلا لمن تكلَّم به، وعندهم أنَّ اللهَ لا يقوم به الكلام[٥]، فلهذا **قال المؤلف: (كلام الله على الحقيقة)**.

---

(١) يشير شيخنا حَفِظَهُ اللَّهُ لحديث حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ قال: «**وليسرى على كتاب الله** عَزَّوَجَلَّ **في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية**...». أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم (٨٤٦٠) وصححه، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/ ١٩٤): «إسناده صحيح، رجاله ثقات»، وينظر: الصحيحة (٨٧).

(٢) ينظر: لسان العرب (١٤/ ٦٥).

(٣) جاء عن جماعة من السلف، قال عمرو بن دينار: «أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون: القرآن كلام الله، منه بدا وإليه يعود». قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٤): «وقد جمع غير واحد ما في ذلك من الآثار عن النبي والصحابة والتابعين؛ كالحافظ أبي الفضل بن ناصر، والحافظ أبي عبد الله المقدسي». وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ١٧٠، رقم ٣١٤)، (٢/ ٢٦٠، رقم ٣٨١)، والأسماء والصفات (٥١٩)، (٥٣٢).

(٤) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص١٦١).

(٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص٥٢٨).

وقد سمَّى الله القرآن كلامًا في غير ما آية؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقوله عن القرآن: (قديمٌ)، فيه نظرٌ، وهو وصفٌ يتَّفق مع مذهب الأشاعرة والكُلَّابية القائلين بالمعنى النفسي(١).

أمَّا أهلُ السنَّة فلا يقولون عن القرآن إنه قديمٌ؛ لأنَّ هذا يتضمن أنَّ كلامَ الله ليس تابعًا لمشيئته، فالقديمُ هو الذي لا بداية له(٢)، وكلام الله تابع لمشيئته، فهو تعالى لم يزل يتكلَّم بما شاء إذا شاء كيف شاء، ولم يزل الرَّب تعالى مُتكلِّمًا بما شاء إذا شاء كيف شاء؛ فجنس كلام الله أو قل: نوعُ كلام الله قديمٌ، فما من كلامٍ لله إلا وقبله كلامٌ، فالله لم يزل يتكلَّم بما شاء إذا شاء، أمَّا الواحدُ أو الفرد من الكلام فلا يقال: إنه قديمٌ، فمثلًا: تكليمُه لموسى إنَّما كان في وقت خطابه لموسى، كما قال: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص]، وتكليمُه للأَبوين إنَّما كان يوم نادى الأبوين؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف]، وتكليمُه للملائكة عندما قال للملائكة: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

(١) ينظر: أبكار الأفكار للآمدي (١/ ٣٥٣)، والمواقف للإيجي (٣/ ٥٧).
(٢) ينظر: المبين في شرح معاني الحكماء والمتكلمين (ص ١١٨ - ١١٩ رقم ٢٠٤).

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة]، فكلامُ الملائكة بعد كلامِ الله تعالى، وإنَّما قال للملائكة في ذلك الوقت.

ويجب أن نفرِّق بين قولنا: كلامُ الله قديمٌ، وقولهم: القرآن قديمٌ؛ فكلامُ الله قديمُ النوع، حادث الآحاد في أوقاتها، فالله تعالى يُنادي المشركين يوم القيامة كما أخبر بذلك: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص]، وكذلك نداؤه للرسُل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة] كل هذا كائن يوم القيامة أخبرنا الله به، ولهذا قال أهلُ السنَّة: إنَّ كلام الله قديمُ النوع، حادثُ الآحاد؛ فآحادُه متجدِّدةٌ، يكون بمشيئته، أمَّا جنس الكلام فهو قديمٌ[1]، أمَّا قولهم: القرآن قديمٌ، فلا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه.

فلْيتنبَّه لهذا التفصيلِ في وصف القرآن ووصفِ كلام الله بالقِدم، ويأتي لهذا مزيدٌ؛ لأنَّ المؤلف أطال الكلامَ في شأن القرآن وفي شأن كلامِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقول المؤلف: (غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاته كيف ما قُرِئ وسُمع وحُفظ وكُتب، وحيثما وُجد في السماء وفي الأرض، هو قرآنٌ واحدٌ، وهو كلام الله تعالى): يريد أن القرآن كلامُ الله تعالى كيفما تصرَّف: مسموعًا ومحفوظًا ومتلوًّا ومكتوبًا، وهو كلامُ الله في الصحف التي في أيدي الملائكة، أو الصحف التي في أيدي المؤمنين، أو في صدور المؤمنين، ولهذا **قال: (هو قرآنٌ واحد)**،

(١) ينظر: منهاج السنة (١/ ١٦٦)، (٢/ ٣٧٩)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧)، (١٢/ ٥٤)، (١٢/ ٣٧٢).

فهو قرآنٌ واحدٌ في الأرض وفي السماء، هو كتابٌ واحدٌ، ليس هناك قرآنان: قرآنٌ هو صفة لله، وقرآنٌ هو عبارة عن كلام الله، كما هو قول الأشاعرة؛ فالأشاعرة يقولون: إنَّ كلام الله معنى نفسيٌّ واحدٌ قديمٌ، وأمَّا هذا القرآنُ المحفوظُ المكتوبُ فهو عبارةٌ عن كلام الله الذي هو عندهم المعنى النفسي[١]، فإطلاقُ اسم الكلام عليه مجازٌ[٢].

قوله: (يقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن] ...) إلى آخر الآيات: استدلَّ المؤلف بهذه الآيات على أنَّ القرآن المعروف، المخطوطَ بين دفتي المصحف، أنه هو كلام الله تعالى كيفما تصرَّف، وأنه غيرُ مخلوقٍ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن]، فغايَر بين القرآن والإنسان، فخصَّ القرآنَ بالتعليم ﴿عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ ثم قال: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾؛ فدلَّت الآية على أنَّ القرآن ليس بمخلوقٍ، ولو كان القرآنُ مخلوقًا لَمَا فرّق بينهما، هذا هو مقصد المصنِّف وغيره ممن يستدلُّون بهذه الآية على أنَّ القرآن ليس بمخلوقٍ[٣]، ولكن في الواقع الدليل الأظهرُ على أنَّ القرآن ليس بمخلوقٍ هو نفس الآيات التي فيها التصريح بأنه كلام الله؛ كقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ٧٥]، والكلامُ إنَّما يضاف

(١) ينظر: أبكار الأفكار (١/ ٣٨٦)، (١/ ٣٨٨)، والمواقف (٣/ ١٢٨) وما بعدها.
(٢) ينظر في الرد عليهم: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٢٧٣).
(٣) ينظر: الإبانة الكبرى (٥/ ٢٩٣)، (٦/ ١٦٥)، والأسماء والصفات (١/ ٥٥٦).

إلى المتكلِّم بـه المبتدِئ له، والكلامُ إنَّما يقوم بالمتكلِّم، وهو صفةٌ للمتكلِّم، والله تعالى بصفاته خالقٌ وليس بمخلوقٍ، فصفاته ليست مخلوقة، وهي قائمةٌ به داخلةٌ في مسـمَّى اسمه، والذين قالوا: بأنه مخلوقٌ إنَّما قالوا ذلك بناءً على ما أصَّلُوه من الباطل، وهو نفيُ قيام الصفات بالله، ومن ذلك صفةُ الكلام، فلمَّا أصَّلوا هذا الأصل كان لا بد أن يقولوا: إنَّ هذا الكلام المنزَّلَ الذي هو القرآنُ مخلوقٌ خلقه الله حيث شاء، سواء خلقه في اللوح المحفوظ أو خلقه في نفس جبريل أو في نفس الرسول ﷺ، المقصود أن الكلام عندهم لم يقم بالله تعالى؛ بل خلقه حتى إنهم يقولون: إنَّ الكلام الذي سـمعه موسى إنَّما هو كلامٌ خلقه الله في الشجرة[(١)].

ففي هذه الآيات دلالةٌ على أنَّ القرآن كلامُ الله، وكلامه صفةٌ من صفاته، وصفاته ليس شيءٌ منها مخلوقًا.

ومن صفات القرآن أنه عربيٌّ، كما قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]؛ لأنه نزل بلسـانٍ عربـي، قال تعالـى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

ثـم ذكر المؤلفُ قوله تعالى: ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]، **وقال: (أي غيرَ مخلـوق)**[(٢)]، والعِوجُ ضدُّ الاسـتقامة، وهو الانحرافُ عن حال الاسـتقامة، والقرآنُ بريءٌ من ذلك فلا عِوَج في ألفاظه، ولا عوجَ في معانيه؛ فبيانُه أحسـن بيـان؛ قال تعالـى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ولا

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٥٣)، والفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٣/ ٤).

(٢) روي هذا التفسـير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ينظر: الشـريعة (١/ ٤٩٥ رقم ١٦٠)، والإبانة الكبرى (٥/ ٢٨٩ رقم ٥٧).

عِوج في معانيه؛ فأخبارُه غايةٌ في الصدق، وأحكامُه غايةٌ في العدل؛ كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود]، فوصَفَه بالإحكام.

فهذه الآيات تفسِّر وتُبيِّن معنى ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]؛ فأثبت الله له الإحكام، ووصفَه بالصدق وبالعدل، وكمالِ الحُسن والبيان، ووصفه بأنه مبينٌ، ونزَّهه عن الاعوِجاج؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾ [الكهف]، وهذا يتضمَّن وصفَه بالاستقامة التي هي ضدّ الاعوجاجِ، وإنَّما كان كذلك لأنه كلام الله، الذي هو مُنزَّه عن الاعوجاج بكلِّ معانيه، موصوفٌ بكمالِ الصدق في الأخبار وكمالِ العدلِ في الأحكام، وأمَّا الكلامُ الذي فيه انحرافٌ في لفظه أو معناه فهو شأن الكلام المخلوقِ، فوصفُ القرآن بأنه مخلوقٌ يستلزم الاعوجاج، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء]، فلو كان هذا القرآنُ من عند غير الله لكان فيه اختلافٌ كثيرٌ، والاختلاف والتناقضُ هو من أقبح عيوب الكلام، فوصفَ اللهُ كلامه بالصفات التي تدلُّ على فضله وكماله، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

وفي هذه الآيات التي ذكرها المؤلِّف دلالةٌ على أنَّ القرآن هو ذلك المسموع الذي سمعه الجنُّ وغيرُهم، وهو المكتوبُ في المصاحف، المحفوظُ في الصدور؛ قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وهو المكتوبُ المسطور في الرقِّ المنشور، وهو المكتوب في الصحف كما قال الله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [عبس]، وقد سمَّى الله القرآن كتابًا؛ لأنه مكتوبٌ

في اللوح المحفوظ، ومكتوبٌ في الصحف التي في أيدي الملائكة، وفي مصاحف المسلمين، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة].

فالقرآنُ في جميع أحواله هو كلامُ الله: محفوظًا في الصدور، منطوقًا بالألسن، ومكتوبًا في المصاحف، ومسموعًا بالآذان، وليس هناك قرآنان؛ بل هو قرآن واحد وكتاب واحد، سورٌ وآيات وحروف وكلمات، متنوعُ الألفاظ والمعاني، أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للتعبُّد بتلاوته، والعملِ بأحكامه، والإيمانِ بأخباره، ولإقامة الحجة على الثقلين بإعجازه لهم أن يأتوا بمثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء].

ثم قال المؤلف: (ومَن قال بخلق القرآن فهو كافرٌ، والواقفون في القرآن كفَّار، ومَن زعم أنَّ القرآن لم يصل إلى الدنيا، ولا وُجد بها، فقد جحدَ ما أنزل الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، وما كان ليأمُره أن يرتِّل القرآنَ ويؤكِّدَه بالمصدر، ولا وصل إليه! تعالى الله عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا): يردُّ المؤلفُ في هذه الجملة على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: مَن قال: «إنَّ القرآن مخلوقٌ»، قال المؤلف: (**فهو كافرٌ**)، وقد استفاض عن أئمة أهلِ السنَّة القول بكفر مَن قال القرآنُ مخلوقٌ[1]؛ لأنَّ

(١) ينظر: السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٠٢-١٣١)، وقد ذكر ابن القيم في قصيدته النونية (١/ ٢٠٦ رقم ٦٣٣-٦٣٤): أنه قد حكم بكفر الجهمية والمعتزلة ومن قال بخلق القرآن =

مَــن قال القرآن مخلوقٌ، فحقيقةُ قوله أنَّ الله لا يتكلَّم، وكفى بهذا تنقُّصًا لرب العالميــن، وجحدًا لِمَا أخبرت به الرسُــل عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهو من أبطل الباطل المناقض للفِطَر والعقولِ، سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ.

والــكلام كمالٌ وضدُّه نقصٌ، فمَن قال: «القرآن مخلوقٌ» فمعنى هذا أنَّ اللــه لم يتكلَّم به، وأنَّ الله لا يتكلَّم؛ فحُقَّ أن يكون كافرًا، فلهذا أطلق كثيرٌ من الأئمة القول بأنَّ مَن قال: «القرآنُ مخلوقٌ» فهو كافرٌ.

والقائلــون بهذا هم الجهميــة، وتبعهم على ذلك المعتزلةُ، واشــتهروا بذلــك، وهم الذين كانت لهم صولةٌ في هــذا الأمر، وهم وراء الفتنة والمحنةِ العظيمة التي جرت على المسلمين في عهد عددٍ من خلفاء بني العباس وأولهم المأمون بن الرشــيد، وتبعه على ذلك أخــوه المعتصم، ثم الواثق درجوا على ذلك، ورفع اللهُ الفتنة على يد المتوكِّل[1].

والمقصودُ أنَّ هذه الطوائف هم القائلون بخلق القرآن، وإمامهم في هذا هو الجعد بن درهم وتلميذه الجهم بن صفوان الذي عُرفت به طائفةُ الجهمية، وقصة الجعد مشهورةٌ عند أهل العلم، بأنَّه لَمَّا أظهر القول بأنَّ القرآن مخلوقٌ، وأنَّ الله لم يُكلِّم موســى تكليمًا، ولم يتخذ إبراهيم خليلًا أفتى العلماء بقتله،

= خَمْسُ مِئةٍ عالمٍ من علماء المسلمين، فقال:

ولــقــد تــقــلَّــد كــفــرَهــم خــمــسـون في
عــشــرٍ مــن الــعــلــمــاء فــي الــبــلــدان
والــلالــكــائــي الإمـــامُ حــكــاه عن
ـــهــم بــل حــكــاه قــبــلــه الــطــبــرانــي

وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٥٣-٣٥٦).

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٠٧)، (١٤/ ٣٩٣).

فضحَّى به خالدُ بن عبد الله القَسري، وخطب في يوم العيد وقال: «ضحُّوا تقبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم، فإنه زعم أنَّ اللهَ لم يُكلِّم موسى تكليمًا، ولم يتَّخذ إبراهيم خليلًا، فنزل وذبحه»[(١)].

قال ابن القيم[(٢)]:

ولأجل ذا ضحَّى بجعدٍ خالدُ القـ
ـقَسْرِي يوم ذبائحِ القُربانِ
إذ قال: إبراهيمُ ليس خليلَه
كلَّا ولا موسى الكليمَ الداني
شَكَر الضحيَّةَ كلُّ صاحب سنَّة
لله درُّك من أخي قُربان

الطائفة الثانية: الواقفة وهم المتوقفون في القرآن هل هو مخلوقٌ، أم هو غير مخلوقٍ؟ يقولون لا نقول: القرآن مخلوقٌ، ولا غير مخلوقٍ.

والتوقف أصله الشكُّ والتردد، والشك في الحق كالتكذيب به، فالشاكُّ -مثلًا- في رسالة النبي ﷺ كالمكذِّب بها سيَّان، كلاهما كافرٌ، وعلى ذلك فالواقفةُ الذين يتوقفون كأنهم يقولون: لا ندري هل القرآن مخلوقٌ أو ليس

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (٢/ ٩ رقم ٣)، والدارمي في النقض على المريسي (ص٤٢٦ رقم ١٥٥).
والقصة مشهورة كما قال الذهبي في ترجمة الجعد في ميزان الاعتدال (١/ ٣٩٩ رقم ١٤٨٢)، وقد تناقلها جمع من علماء السنة. ينظر: رد المعلِّمي على الطاعنين في خالد القسري فيما فعله بالجعد في التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ضمن آثاره (١٠/ ٤١٠).

(٢) النونية (١/ ٦١ رقم ٥٠-٥٢).

بمخلوقٍ؟ وهذا يقتضي أنهم يقولون: لا ندري هل الله يتكلَّم والكلامُ صفة له، أو ليس كذلك؟

فلهذا قال أهل العلم بكفر الواقفة[١]؛ بل إنَّ الواقفة -من وجه- شرٌّ من القائلين بأنَّ القرآن مخلوقٌ[٢]؛ لأنَّ القائلين بأنَّ القرآن مخلوقٌ بدعتهم ظاهرةٌ وكفرهم بيِّنٌ، ومذهبهم صريحٌ. أمَّا الواقفة فيلتبسُ أمرُهم، وبعض الجهمية يتخذ الوقف والتوقف منهجًا ليدرأ به عن نفسه الشناعة، فيقول: لا أقول القرآن مخلوقٌ ولا غير مخلوقٌ، وإن كان يعتقد أنه مخلوقٌ[٣].

الطائفة الثالثة: القائلون إنَّ القرآنَ لم يصل إلى الدنيا، ولا وُجد بها، والمقصود القرآن الذي هو صفة الله لم يصل إلى رسول الله ﷺ، ولم يصل إلى العباد، والذي يظهر لي أنَّ هذا ينطبق على مذهب الأشاعرة ونحوهم؛ لأنَّ الأشاعرة -كما تقدَّم[٤]- يقولون: إنَّ كلام الله معنى نفسي ليس بحرف ولا صوت، ولا يُسمع منه، ولا تتعلَّق به المشيئة، فهو معنى نفسي واحدٌ قديمٌ، وعلى هذا فالقرآن الذي هو صفة الله وهو القائم به لم يصل إلينا، وهذا القرآن الذي عندنا هو عبارةٌ عن كلام الله ليس كلام الله، وليس هو القرآن على الحقيقة، وتسميتُه كلامَ الله أو تسميتُه القرآن مجازٌ.

---

(١) ينظر: الشريعة (١/ ٥٢٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٥٧).

(٢) قال عبد الله بن الإمام أحمد: سمعت أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة أخرى وسئل عن اللفظية، والواقفة فقال: «من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي» وقال مرة أخرى:«هم شر من الجهمية». السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ١٧٩).

(٣) ولشيخنا -سدده الله- مقال في موقعه الرسمي بعنوان: «لا أجد عذرًا لخطئكم العظيم إلا ضعف قواكم الفكرية»، حرَّره في: ٢٨ ذي القعدة ١٤٣١. وهو ردٌّ وتعقيب على مقال للأستاذ أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، نحى فيه منحى الوقف.

(٤) تنظر: (ص٣٥).

فالذي يظهر أنَّ المؤلف يُنكر على هذه الطائفة ويرد عليها، ويستدل على بطلان قولهم بأنَّ القرآن لم يصل إلينا بهذه الآيات: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، فقوله: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ﴾ يدلُّ على أنه وصل إليه وبلَغه وأُعلم به، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ -يعني: فصَّلناه، وأنزلناه شيئًا بعد شيء[(١)]- ﴿لِّتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، فدل ذلك على أنَّ القرآن وصل إلى رسول الله ﷺ، ووصل إلى الناس بواسطته.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل]، فأمره أن يرتل القرآن الذي أنزله عليه، ويتلوه على مُكث كما في الآية الأخرى؛ أي على ترسُّلٍ وتمهُّلٍ[(٢)].

قال المؤلف: (وما كان لِيأمُره أن يرتِّل القرآن ويوكِّده بالمصدر، ولا وصل إليه! تعالى الله عن قول الجاحدين علوًّا كبيرًا): يريد قوله: ﴿تَرْتِيلًا ۝٤﴾ فهو مصدرٌ مؤكدٌ لفعل الأمر في قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ﴾، فكيف يرتِّل ما لم يصل إليه ﷺ! وقد سمَّى الله ذلك الكلام الذي أمر النبي ﷺ بتلاوته وترتيله مؤكدًا ذلك بقوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ سماه القرآن؛ إذن فالمُرتَّلُ هو القرآن، وهو كلام الله.

وكذلك الآيات المتقدمة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ [الجن]، فالجنُّ سمعوا القرآن، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فما سمعه الجن، وما أوحي إلى الرسول، وما بلغه الرسول، كلُّ ذلك هو القرآن، الذي هو كلام الله تعالى.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٣)، وزاد المسير (٣/ ٥٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ١١٧)، وزاد المسير (٣/ ٥٩).

فهذه ثلاث طوائف يشير المؤلف إلى الرد عليها:

مَن قال: القرآن مخلوقٌ.

ومَن قال بالوقف، وقال: لا أقول: مخلوقٌ، ولا غير مخلوقٍ.

ومَن قال: إنَّ القرآن قائمٌ بالله، ولم يصل إلينا إلا ما هو عبارةٌ أو حكايةٌ عنه.

وهذه كلُّها مذاهب باطلةٌ مردودةٌ بالسمع والعقل.

قولـه: (ويجب أن نعتقدَ أنَّ الله تعالى كلَّم موسـى تكليمًا، بكلام قديمٍ مسـموعٍ مفهومٍ، من ذات الله تعالى، بلا واسطةٍ بينهما، وكذلك كلُّ مَن خاطبه ممن أخبر عنه): يريد أنه يجب علينا أهل السـنة أن نعتقد أنَّ الله كلَّم موسـى تكليمًا بكلام سـمعه موسـى منه تعالى إليه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بلا واسطةٍ، لكن من غير رؤيـةٍ، كما قـال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشـورى: ٥١]، وكذلك كلُّ مَن أخبر الله عنـه أنه خاطبه مثل الأبوين، والملائكة، كما هو معلوم من أنَّ الله تعالى يتكلَّم بما شـاء إذا شاء كيف شاء، وهذا الأصل هو الحق الثابت بالسمع والعقل، فيجب أن نعتقده، وقد أكَّد خبره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن تكليمه لموسـى بالمصدر الذي يرفـع احتمال المجاز، فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء]، فقوله: ﴿تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ مصدرٌ مؤكدٌ لمدلـول الفعل، فهو يرفع احتمال المجاز، وقد نوَّع الله خبره عن ذلك؛ فذكر أنه كلَّم موسى نداءً، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، وكلَّمه نِجاءً كما قال تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾ [مريم]، فالله كلَّم موسـى بصوت مرتفعٍ وبصوت خفي، فقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾[النسـاء] يشمل تكليمه

نداءً، وتكليمه نِجاءً أي مُناجاة يعني مُسـارَّةً[١]، فالله كلَّم موسى بكلامٍ متنوعٍ، في أوقات مختلفة؛ فكلَّمه يوم أرسله وناداه، وكلَّمه يوم واعده: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أمَّا قول المؤلف: إنَّ الله كلَّم موسى **(بكلام قديمٍ)**، فقد تقدَّم أنه لا يجوز إطلاق القول بأنَّ كلام الله قديمٌ؛ بل لا بد من التفصيل؛ لأنه تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء، فإذا قلت: إنَّ الله لم يزل متكلمًا فقل: إذا شاء بما شاء، كما قال السلف والأئمة[٢]. أمَّا تكليمه تعالى لموسى فلا يجوز أن نقول: إنه تعالى كلَّمه بكلام قديمٍ؛ بل تكليمُه تعالى لموسى ليس بقديمٍ؛ بل كان في ذلك الوقت الذي خاطب فيه موسى.

ويُفهم من **قول المؤلف: (كلَّم موسى تكليمًا، بكلامٍ قديمٍ مسموعٍ مفهومٍ، من ذات الله تعالى، بلا واسطةٍ بينهما، وكذلك كلُّ مَن خاطبه ممن أخبر عنه)** أنَّ المصنف يذهب مذهبَ طائفةٍ من أهل الكلام المنتسبين للسنَّة يُشبهون الأشاعرة، وهم السالمية[٣]، ويُقال لهم الاقترانية، يقولون: إنَّ كلام الله حروفٌ، وأصوات مسموعةٌ، لكنها قديمةٌ، فهؤلاء

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٧٩٣).

(٢) تنظر: (ص٣٣).

(٣) نسبة لأبي الحسن أحمد بن محمد بن سالم البصري، صحِب سهل بن عبد الله التستري، وعنه أخذ أبو طالب المكي، توفي سنة (٣٦٠)، وكناه وسماه السُلمي: أبا عبد الله محمد بن أحمد بن سالم، وكنى ابنه: أبا الحسن. ويجمع السالمية في مذهبهم بين كلام أهل السنة وكلام المعتزلة مع تصوف. ولشيخ الإسلام كلام عن ابن سالم والسالمية في: درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١١١، ١٢٧، ١٢٩)، (٦/ ٣٠٤)، (١٠/ ٢٨٧)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ١٦٦، ٣١٩، ٥٢٧). وينظر: طبقات الصوفية (ص٣١٢)، وتاريخ الإسلام (٨/ ١٦١ رقم ٣٦٨).

يتفقون مع الأشاعرة في أنَّ كلام الله قديمٌ كلُّه، لا تتعلق به المشيئة، ولا يتجدَّد، لكن الأشاعرة يقولون: إنه معنى نفسي ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، وهؤلاء يقولون: إنه حروفٌ وأصواتٌ قديمةٌ في الأزل، فعلى قولهم: إنَّ الله لم يزل قائلًا يا موسى، أو يا نوح، أو يا آدم، أو لم يزل قائلًا للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر]، وهذا مذهبٌ من المذاهب المخالفة لمذهب أهل السنة المخالفة للعقل والشرع، فهو قولٌ مبتدَعٌ وباطلٌ، كما أنَّ قول الأشاعرة قولٌ باطلٌ ومبتدَعٌ؛ فخِطابه لموسى ليس قديمًا في الأزل، وخِطابه للأبوين وللملائكة، وخِطابه يوم يكلِّم الناس والرسلَ يوم القيامة أو المشركين أو المؤمنين يخاطبهم بكلامٍ يتكلَّم به بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذلك الوقت، فلا يقال: القرآنُ قديمٌ، ولا يقال: إنَّ خطاب الله تعالى لموسى قديمٌ، أو خطابه للأبوين أو الملائكة؛ لا يقال في شيءٍ من ذلك: إنه قديمٌ؛ بل يقال: إنَّ كلام الله قديمُ النوعِ حادثُ الآحاد، أو يقال: إنَّ الله لم يزل متكلمًا إذا شاء بما شاء، هذا هو المذهبُ الحقُّ الذي تنتفي عنه المذاهب الباطلة المخالفةُ لِمَا دلَّت عليه النصوصُ من الكتاب والسنَّة، وما دلَّت عليه الفِطَرُ والعقولُ.

◆◈◈◈◆



ما يجب اعتقاده في أسماء الله



ويجب أن نعتقدَ أنَّ لله الأسماء الحسنى، تسعةً وتسعين اسمًا، مئةً إلَّا واحدًا، مَن أحصاها دخل الجنة. والله وِترٌ يحبُّ الوِتر.

ويجب أن نعتقدَ في جميع أسماء الله تعالى أنَّ الاسمَ للمسمَّى، لا هو المسمَّى ولا غير المسمَّى، بل الاسم للمسمَّى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فأضافَ جميع الأسماء إليه، وأدخلَ عليها لام الاستحقاق.



قوله: (ويجب أن نعتقدَ أنَّ لله الأسماء الحسنى ...) إلى آخره: هذا لفظ حديثٍ ثابتٍ في الصحيحين وغيرهما: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا مئةً إلا واحدًا مَن أحصاها دخل الجنةَ، إنه وِترٌ يُحبُّ الوِترَ**»[(١)]. فيجب الإيمانُ بأنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا، والمعنى أنَّ من أسمائه تسعة وتسعين اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة، لا أنها كلّ أسمائه تعالى[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨١)، (٢٢/ ٤٨٥-٣٨٦)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٩٣).

وعبارةُ المؤلف تُوهم أنَّ أسماء الله محصورةٌ في هذا العدد، فكان ينبغي أن يقول: يجب أن نعتقد أنَّ لله الأسماء الحسنى، منها أو من تلك الأسماء: تسعة وتسعون اسمًا مَن أحصاها دخل الجنة، فهذا الحديث لا يدلُّ على حصر أسماء الرب تعالى في تسعة وتسعين؛ فالله تعالى له أسماء لا يحصيها العبادُ، ومنها ما لا يعلمها غيره، كما جاء في الحديث الصحيح، حديث ابن مسعود في دعاء الهَمِّ: «.. **أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك...**»[(١)]، فهذه الأسماءُ التي استأثر الله بعلمها لا سبيل لأحدٍ إلى عِلم لفظها ولا معناها؛ لأنه سبحانه طوى علمها عن العباد.

ومما يدلُّ على أنَّ أسماء الله ليست محصورةً في ذلك: قوله ﷺ: «**لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أَثنيت على نفسك**»[(٢)]، فلا أحد يُحصي ما يستحقُّه الربُّ من الثناء إلَّا هو سبحانه، كما أثنى على نفسه، هذا يقوله أكملُ الخلقِ وأعلمُ الخلقِ بالله تعالى.

أمَّا الأسماء التسعة والتسعون فهذه يمكن للعباد أن يعرفوها بتدبُّرِ القرآن والسنَّة، وقد حاول كثيرٌ من العلماء جمعها واستخراجها من الآيات[(٣)]، فربما زادت على تسعة وتسعين اسمًا، لكن نعلمُ أنَّ لله من أسمائه التي سمَّى بها

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وابن أبي شيبة (٢٩٣١٨)، وأبو يعلى (٥٢٩٧) -وعنه ابن حبان (٩٧٢) -، والحاكم (١٨٧٧)، وصححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤/ ١٠٠). وينظر: الصحيحة (١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم (١١١٨) من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) ينظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى لمحمد بن خليفة التميمي (ص١١٨).

نفسه تسعة وتسعين اسمًا، والحديث الثابت في الصحيحين جاء مُجملًا، لم يُبيَّن فيه تعيين هذه الأسماء، لكنه ورد في غير الصحيحين عند الترمذي وغيره بزيادة سرد الأسماء الحسنى، مع الاختلاف في روايات سرد الأسماء بالزيادة والنقص، ولكن عند المحقِّقين من أهل الحديث أنَّ رواية سرد الأسماء الحسنى غير ثابتةٍ عن النبي ﷺ[1]؛ فلا تكون أهلاً لإثبات كلِّ ما ورد فيها من الأسماء، بل يفتقر ذلك إلى دليلٍ من آيةٍ أو حديثٍ صحيح، ولكنها اشتملت على كثيرٍ مما ورد في الكتاب والسنة، لكن ليس كل ما ذُكر في تلك الأسماء -التي ذكرت في تلك الرواية- من أسماء الله، فهذا لا بد من ملاحظته.

والتسعة والتسعون أو غيرها إنما تُستخرج وتُتأمَّل من خلال تدبر القرآن والسنَّة، وإذا استخرجنا من الكتاب والسنَّة أكثر من تسعة وتسعين، فالحكمُ بهذه الفضيلة إنما هو لتسعة وتسعين اسمًا من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى كلِّ حالٍ فهذا فيه ندبٌ إلى تدبُّر القرآن وتدبُّر السنَّة لمعرفة أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فمِن شأن هذه الأسماء أنَّ مَن أحصاها دخل الجنة، والإحصاءُ ليس هو إحصاء عَدٍّ فقط، وليس هو إحصاءُ حفظٍ للألفاظ، إنما هو إحصاءٌ للفظِها

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٧)، وابن ماجه (٣٨٦١)، وابن حبان (٨٠٨)، والحاكم (٤١)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث». وقال شيخ الإسلام: «ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ، بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه؛ ولهذا لم يروه أحد من أهل الكتب المشهورة إلا الترمذي، رواه عن طريق الوليد بن مسلم بسياق، ورواه غيره باختلاف في الأسماء وفي ترتيبها؛ يبين أنه ليس من كلام النبي ﷺ، وسائر من روى هذا الحديث عن أبي هريرة، ثم عن الأعرج، ثم عن أبي الزناد، لم يذكروا أعيان الأسماء». مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦). وينظر: فتح الباري (١١/ ٢١٥-٢١٦).

ولمعناها، وإحصاءٌ للعمل بمقتضاها[١]، فالإحصاءُ على مراتب، مثل عِلم القرآن فهو مراتب.

وقوله: (مئة إلا واحدًا): تأكيدٌ لتسعة وتسعين. وأسماءُ الله كثيرةٌ وهي متفاضلةٌ، ولهذا جاء في غير ما حديث ذِكر اسم الله الأعظم[٢]، واسمه «الله» أجمعُ الأسماء لمعاني أسمائه وصفاته[٣]، وكذلك اسمه «الرحمن»، وقد نبَّه على معاني التفاضل بين الأسماء والصفات شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «جواب أهل العلم والإيمان في أنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثُلث القرآن»[٤].

وقوله: (وِترٌ): فيه أنَّ من أسماء الله «الوِتر»، فهو «الواحدُ» وهو «الأحدُ» وهو «الوِترُ»، والوِترُ ضدُّ الشَّفع[٥]، فالخلقُ كلُّهم شفعٌ، فكلُّ شيءٍ له مقابل وضد، والله تعالى وِترٌ، وليس له تعالى ضد ولا ند ولا سمِيٌّ.

وقوله: (يُحب الوِتر): هذا يدل نصًّا على إثبات المحبة كما لا يخفى.

والوِترُ معروف في الأعداد: الواحد والثلاثة والخمسة، فكلُّ عدد لا يَنقسم على اثنين فهو وترٌ، ولكن هذا لا يعني إثبات الفضيلة لكلِّ وتر، بحيث يقال: إنَّ العدد خمسة عشر أفضل من ستة عشر، فهذا كلامٌ مجملٌ يؤخذ

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١/ ٢٨٨).

(٢) منها حديث بُرَيدة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (٢٢٩٦٥)، وأبي داود (١٤٩٣-١٤٩٤)، والترمذي (٣٤٧٥)، وابن ماجه (٣٨٥٧). وحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد (١٢٢٠٥)، وأبي داود (١٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨)، وحديث أسماء بنت يزيد عند أحمد (٢٧٦١١)، وأبي داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨) وابن ماجه (٣٨٥٥). وينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ٤٧)، والصحيحة (٧٤٦)، (٣٤١١).

(٣) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧٨٢)، ومدارج السالكين (١/ ٥٥).

(٤) (ص٩٩)، (ص١١٣)، (ص١٧٣).

(٥) ينظر: لسان العرب (٥/ ٢٧٣).

تفصيله من السنة، فهناك من العبادات ما شرع اللهُ فيه الإيتار؛ كالوتر في صلاة الليل، ركعةً وثلاثًا وخمسًا وسبعًا، والوترُ في الطواف، فلا بدَّ أن يكون سبعًا، ورميُ الجمار سبعٌ.

فعددُ سبعة له خصوصية في الشرع والقَدَر[١]؛ في الشرع: كما في الطواف والسعي ورمي الجمار، وفي القَدَر: في جَعلِ الله السموات سبعًا، والأرضين سبعًا، ومن الشرع قوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أَسجُد على سبعة أعظُم**»[٢].

ومن مواضع الإيتار أنه ﷺ كان في عيد الفطر يأكل تمراتٍ وترًا قبل أن يخرج لصلاة العيد[٣]، لكن لم يجئ في الأكل ما يُفيد ندبَ المرء لأكل ثلاثِ لُقم أو خمس أو سبع.

ولا يُسنُّ إذا أكلتَ تمرًا في وجبات طعامك أن تأكل ثلاثًا، والناس يقولون أوتر، وهذا لا أصل له.

أمَّا الشرب فقد جاء فيه الندب إلى التنفس ثلاثًا في الشرب[٤]، يعني: يشرب ثم يتنفس، ثم يشرب ثم يتنفس، ثم يشرب.

والمقصود أنَّ قوله: (إنَّ الله وِترٌ يُحب الوِتر) لا يُؤخذ منه استحبابُ الإيتار في كلِّ شيءٍ؛ بل إنما يُعلَم تعيين ما يحبُّه الله من الإيتار في العبادات من بيان سنَّة رسول الله ﷺ.

---

(١) ينظر: زاد المعاد (٤/ ١٣٦-١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨١٢)، ومسلم (٤٩٠) ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) علّقه البخاري في «كتاب العيدين»، «باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج» عند حديث (٩٥٣) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، ووصله أحمد (١٢٢٦٨)، وصححه ابن خزيمة (١٤٢٩)، وابن حبان (٢٨١٤).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (ويجب أن نعتقدَ في جميع أسماء الله تعالى أنَّ الاسمَ للمسمَّى، لا هو المسمَّى ولا غير المسمَّى، بل الاسم للمسمَّى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ فأضافَ جميع الأسماء إليه، وأدخلَ عليها لام الاستحقاق): أي: يجب أن نعتقد أنَّ الاسم للمسمَّى؛ فالأسماء لمن سُمي بها، فلله الأسماء الحسنى، فالرحمنُ هو اسم الله، واللهُ اسم رب العالمين، وهكذا بقية الأسماء، وهذا حقٌّ، فأسماء الله لله كما أخبر فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، ولا نقول: إنَّ الاسم هو المسمَّى، ولا غير المسمَّى، وهذه مسألة مما أحدَث الناس الخوضَ فيه والكلام فيه[(١)]، وإلا فالمعنى معقولٌ، والسلف الصالح يعرفون دلالة الألفاظ، ودلالات الكلام؛ فكلمةُ الاسم تُطلق على اللفظ الدال على المسمَّى، فزيدٌ لفظ دالٌّ على شخصٍ مسمّى بهذا الاسم، والله اسمٌ لرب العالمين، والرحمن اسم، والرحيم اسم، والملك، والقدوس، كلُّ ذلك من أسمائه الدالَّة على رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمسمَّى بهذه الأسماء هو رب العالمين.

لكن لفظ الله هل هو الاسم أم المسمى؟ هذا يدخله الإجمال؛ إذا قلنا: الله رب السموات والأرض، فالمرادُ بهذه الكلمة هو المسمى رب العالمين، وقل مثل ذلك في الرحمن، فإذا قلت: الرحمن هو رب العالمين، وأرحم الراحمين، فالمرادُ بالرحمن في هذا التركيب والاستعمال، هو المسمَّى بهذا الاسم. لكن إذا قلت: «الرحمن صفة مُشبَّهةٌ» كما يقوله النُّحاة، أو تقول: «الله، هذا الاسم مشتقٌّ»، أو تقول: «الرحمن هذا عربيٌّ»؛ فيكون حُكمك على لفظ

(١) ينظر: صريح السنة للطبري (ص٢٦).

الاسم لا على المسمَّى، فالاسمُ تارةً يطلق ويرادُ به المسمَّى بهذا الاسم، وتارة يُطلق ويراد به نفس اللفظ الدالِّ، وبسبب هذا الاحتمال لا يصح أن يُطلق القول بأنَّ الاســمَ هو المسمى، أو الاسم غير المســمى؛ فالألفاظُ المحتملة يحصل الغلط فيها بالإطلاق نفيًا أو إثباتًا[١].

وعلى هذا فكلام المؤلف مستقيمٌ إن أراد نفي الإطلاق لا نفي المجملَين، والمعنى أنه لا يصح إطلاق القول بأنَّ الاســم هو المسمى، ولا أنَّ الاسم غير المسمى؛ بل الواجب التفصيل.

فالأسماءُ الحسنى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وهي دالَّةٌ عليه، وعلى صفاته.

ولا يصــح أن يُطلق القول فيها بأنها مترادفةٌ، ولا متباينةٌ؛ لأنها مُتَّحدة في الــذات متعددةٌ فــي دلالتها على الصفات، فهي مترادفةٌ مــن وجهٍ ومتباينةٌ من وجهٍ، فإذا نظرت إلى ما يدل عليه كل اسم من الصفات صارت متباينة؛ فيقال: الســميع غير البصير، والبصير غير القدير، وهكذا، وإذا نظرت إلى الموصوف المســمى؛ فالســميع هو البصير، والعزيز هو الحكيم، وهكذا القول في سائر أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٢].

◆◈◈◈◆

(١) ينظــر: مجمــوع الفتــاوى (٦/ ١٨٥)، (١٢/ ١٦٩-١٧٠)، (١٦/ ٣٢٣)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٨).

(٢) ينظر: القواعد المثلى بتعليق شيخنا (ص٢٤).

ما يجب اعتقاده في الأسماء والصفات

ويجب أن نعتقد أنَّ الله موصوفٌ بما وصف به نفسَه من الصفات، سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، قديرٌ، حيٌّ، مُريدٌ، ووُصِفَ بالنَّفْس، والذَّات، والوجه، والعين، واليَدِ -وكلتا يديه يمين- والأصابعِ، والقدَمِ، وأنه يضحك، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا، وجميعُ هذه يجب إثباتها لله صفاتٍ لذاته، لا هي هو، ولا هي غيره، بل صفاتٌ له كما جاءت من غير كيفيةٍ، ولا تشبيهٍ، ولا تأويلٍ، ولا تفسير تعالى الله. تعالى أن يُشبِه شيئًا أو يُشبهه شيءٌ.

الشرح

هذا أصل عظيم: أن نَصِف الله بكلِّ ما وصف به نفسه، وكذلك بما وصفه به رسوله ﷺ؛ لأنه مُبلِّغ عنه.

ومن أمثلة ذلك: وصفه تعالى بأنه (**سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، قديرٌ، حيٌّ، مُريدٌ**)، فيجب الإيمان بهذه الأسماء، وما تتضمنه من الصفات، أنه سميعٌ يسمع جميع الأصوات، بصيرٌ يرى جميع المخلوقات، عالمٌ لا يَعزبُ عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وعالمٌ إنما جاءت في القرآن مضافةً، كقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣]، بخلاف عليمٍ

فقد جاءت مطلقةً ومضافةً؛ مطلقةً بلا تقييد في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة]، ومقيدة كقوله: ﴿بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة]، قديرٌ لا يُعجزه شيءٌ كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمَا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر].

وأمَّا اسمه «الحي» فقد جاء في مواضع كقوله: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فيجب الإيمان بذلك.

وأمَّا «المريدُ» فليس من أسمائه[1]، لأنه لم يرد بلفظ الاسم وإنما ورد بلفظ الفعل، فلا يُقال من أسماء الله «المريدُ»، لكن من صفاته أنه تعالى يريدُ، كما قال تعالى: ﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ [المائدة].

قوله: (ووُصِف بالنفس): يعني أنَّ لله عَزَّوَجَلَّ نَفْسًا، فالنفس جاءت في مواضع كقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، فنؤمنُ بأنَّ لله عَزَّوَجَلَّ نفسًا.

قوله: (والذات): إطلاقُ الذات على الله سبحانه لم يرد -فيما أعلم- إلا في أثرٍ ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «تفكروا في مخلوقات الله، ولا تفكروا

(١) ينظر: شرح الأصبهانية (ص٩)، ومجموع الفتاوى (٦/ ١٤٢).

في ذات الله»[(١)]. لكنه حقٌّ ومعنى صحيح، وهو معنى النفس، فقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠] المراد ذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكلمة النفس تُطلق في اللغة العربية بمعنى ذات الشيء[(٢)]، كما تقول: جاء فلان نفسُه، يعني هو لا غيره، فنقول: الله تعالى هو نفسه فوق السموات، يعني بنفسه، مثل ما نقول: بذاته، فإذا قلنا: هو نفسه فوق سمواته مستوٍ على عرشه، فهو بمعنى أنه بذاته فوق سمواته[(٣)].

قوله: (والوجه، والعين): كذلك من الصفات التي يجب إثباتها لله: الوجه، والعينان، واليدان، والأصابع، والقدمان؛ فالوجه جاء في مواضع من القرآن كقوله: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن]، والعينين كما في قوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه]، ولم يثبت نصٌّ بلفظ «عينين»، لكن أهل السنَّة مجمعون على أنَّ لله عينين[(٤)]، وأمَّا قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾، فمن باب إضافة المثنى إلى صيغة الجمع، وعادة العرب إذا أضافوا المثنى إلى صيغة الجمعِ فإنهم يجمعون، كما قال تعالى في اليدين: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: ٧١][(٥)].

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٢٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٦١٨)، (٨٨٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٥٠ رقم ١٠٨) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه موقوفًا، وحسَّنه الذهبيُّ في العرش (٢/ ١٧١)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٨٣): «موقوفٌ، وسنده جيد». ورُوي أيضًا عن جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: الصحيحة (١٧٨٨).

(٢) ينظر: لسان العرب (٦/ ٢٣٣).

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٧/ ٤٢٧) وما بعدها، ومجموع الفتاوى (٦/ ٣٤١-٣٤٢).

(٤) ينظر: النقض على المريسي (ص٢٢٨)، ومقالات الإسلاميين (١/ ١٧٣)، (١/ ٢٢٦).

(٥) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٤٧٤-٤٨١)، والصواعق المرسلة (١/ ٨٤).

قولـه: (واليـد): قد جـاء إثبات اليديـن في مواضـع كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقول المصنف: (وكلتا يديه يمين): هذا ثابتٌ في حديثٍ عن عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسـلم: «**إنَّ المقسـطين عند الله على منابرَ من نورٍ عن يميـن الرحمن** عَزَّوَجَلَّ **وكلتا يدَيه يميـن**»[(١)]، وفيه إثباتُ اليديـن لله، وإثباتُ اليمين لله.

والمقصودُ أنَّ كلتا يدي الرب يمين مباركةٌ؛ أي ذات يُمن وبركةٍ[(٢)]، وليس المقصود أنَّ كلتـا يديه يمين بمعنى اليمين في قوله: «**عن يمين الرحمن**»، فإنَّ اللـه فرَّق بيـن ما يقبض به السـموات وما يقبض به الأرض، فقال سـبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧].

وكـذا صحَّ عن النبي ﷺ أنـه قال: «**يأخذُ الله** عَزَّوَجَلَّ **سـمواته وأرَضِيه بيدَيه**»[(٣)]، وأنه يأخذ السموات بيمينه والأرض بيده الأخرى في أكثر الروايات[(٤)]، وفي رواية عند مسـلم: «**ثم يطوي الأرضين بشماله**»[(٥)]، فلهذا أثبت بعض أهل

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٩٢-٩٣)، وشرح العقيدة التدمرية لشيخنا (ص٣٢٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٨٨) من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) كما في رواية أبي داود (٤٧٣٢)، وأخرج البخاري (٧٤١٩) -واللفظ له-، ومسلم (٩٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السـموات والأرض، فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشـه على الماء، وبيده الأخرى الفيض -أو القبض- يرفع ويخفض**».

(٥) برقـم (٢٧٨٨-٢٤) ومنهـم من أعلها بالشـذوذ؛ لتفـرُّد عمر بن حمزة. ينظر: الأسـماء والصفات للبيهقـي (٢/ ١٣٩-١٤٠ رقم ٧٠٦)، وملحق تخريـج المصطلحات الأربعة الواردة في القرآن للألباني (ص١٣١ رقم ١).

السنَّة لفظ الشمال[١]، ولا منافاة بين هذا وبين قوله: «**وكلتا يديه يمين**» في حديث عبد الله بن عمرو: «**إنَّ المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن** عَزَّوَجَلَّ **-وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلُوا**»[٢]؛ فقوله: «**كلتا يديه يمين**» ليس المراد به اليمين المقابلة للشمال؛ بل المراد أنَّ يدَي الرب كلٌّ منهما ذات يُمنٍ وخيرٍ وبركةٍ، وكأنه دفعٌ لتوهُّم النقص في اليد الأخرى لَمَّا قال: «**عن يمين الرحمن**» فقال ﷺ: «**وكلتا يديه يمين**».

قوله: (والأَصابِعِ): كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوبَ بني آدم كلَّها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحدٍ يصرفه حيث يشاء**» الحديث[٣]، وقد ورد ذكرها في الصحيحين من حديث ابن مسعود في قصة الحبر اليهودي الذي جاء وقال: «يا محمدُ، إنَّا نجد أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر]»[٤]؛ فأهل

(١) ينظر: النقض على المريسي (ص٥١٣-٥١٥)، والكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص٧٥١).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤).
(٤) أخرجه البخاري (٤٨١١) -واللفظ له-، ومسلم (٢٧٨٦).

السـنَّة والجماعة يُثبتون اليدين لله، ويُثبتون أصابع اليدين[١]، ولكن لا يقولون إنها خمسةٌ، إنما يثبتون الأصابع دون تحديد بعدد.

وكلُّ ذلك يتأوَّله أهل البدع، إمَّا بصفة أخرى مما يثبتونه أو بأشياء مخلوقة[٢].

قوله: (والقدَمِ): أهل السنَّة يُثبتون أنَّ لله قدَمين، ولا يقولون: قدمٌ واحدةٌ، وقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ الكرسي هو موضع القدمين[٣]، وجاء إثبات القَدَم في الحديث: «**حتى يضع ربُّ العزة فيها قدَمه**»[٤].

قولـه: (وأنه يضحك): الضحك صفةٌ فعليةٌ، وأهل السـنة يُثبتون أنَّ الله يضحك كيف شـاء، لقوله ﷺ في الحديث الصحيـح: «**يضحك الله لرجلين يقتـل أحدهما الآخر كلاهمـا يدخل الجنة**»[٥]، وجاء ذكـر الضحك في عدة أحاديث صحيحة[٦].

---

(١) ينظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٨٧)، والشريعة (٣/ ١١٥٦)، (٣/ ١١٦٤).

(٢) ينظر: الشـامل في أصول الدين (١/ ٥٦٤)، وأساس التقديس (ص١٠٦). وبعضهم يزعم أنَّ النبي ﷺ ضحك ساخرًا ومتعجِّبًا؛ كالخطابي في أعلام الحديث (٣/ ١٩٠٣)، والقرطبي فـي المُفْهِم (٧/ ٣٨٩)، وينظر الرد عليهما في: تعليقات على المخالفات العقدية في فتح الباري لشيخنا (ص١٧١ رقم ١٢٣).

(٣) أخرجـه الدارمي في النقض على المريسـي (ص٢٨٢ رقـم ٩٠)، وعبد الله بن أحمد في السـنة (٥٨٦)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ١٠٢ رقم ٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٨٢٦)، ومسلم (١٨٩٠) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) ينظر: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٤٤)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٦٣).

فالضحكُ مما يُمدح به سبحانه، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ضحك ربنا من قنوط عباده، وقُرْبِ غيره**» قال: قلت: يا رسول الله، أوَ يضحك الرب عَزَّوَجَلَّ؟ قال: «**نعم**» قال: لن نَعْدَمَ من رب يضحك خيرًا[(١)].

وقول أهل السنة فيه وفي غيره من الصفات واحدٌ، وهو الإثبات ونفي التمثيل بالمخلوقات ونفي العلم بالكيفية، وأمَّا النُّفاة فإنهم بين مُفوِّضٍ لمعناه أو مؤوِّل له بخلاف ظاهره، إمَّا بالإرادة أو بالرضا أو غير ذلك[(٢)].

قوله: (وأنه ينزل إلى سماء الدنيا): كذلك من صفاته تعالى الفعلية أنه ينزل إذا شاء، ومنه نزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، كما تواترت بذلك السنَّة[(٣)]؛ كقوله ﷺ: «**ينزل ربُّنا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: مَن يدعوني، فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له**»[(٤)]، والحقُّ أنه ينزلُ تعالى حقيقةً كيف شاء، لا كنزول المخلوق، ونقول فيه كما قال الإمام مالك في الاستواء[(٥)]: «النزولُ معلوم، والكيفُ مجهول، والإيمان به واجب، والسؤالُ عنه بدعة».

---

(١) أخرجه أحمد (١٦١٨٧)، وابن ماجه (١٨١) من حديث أبي رَزين العُقَيلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٨١٠).

(٢) سيأتي في (ص٦١).

(٣) رواه عن النبي ﷺ ثمانية وعشرون صحابيًّا كما قال ابن القيم في مختصر الصواعق (٣/ ١١٠٨)، (٣/ ١١٢٥) وما بعدها. وينظر: نظم المتناثر (٢٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (١١٤٥) -واللفظ له-، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٠٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١، رقم ٦٦٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (رقم ٨٦٦-٨٦٨)، وقد صحَّح هذا الأثر عن مالك: الذهبي في العلو (ص ١٣٨، رقم ٣٧٧)، وجوَّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧).

والأحاديثُ الواردة في النزول ظاهرة الدلالة على بطلان تأويل مَن تأوَّل النزول بنزول ملَكٍ أو نزول الرحمة، إذ لا يجوز أن يقول الملَكُ: مَن يدعوني، مَن يسألني، مَن يستغفرني[١].

فأهلُ السنَّة والجماعة يُثبتون هذه الصفات، وهذه الأسماء لله تعالى على مـا يليق به، مع نفي مماثلته تعالى للمخلوقات، ونفي العلم بالكيفية، فمذهب أهل السـنة يقوم على هذه الأصول الثلاثة[٢]: الإثباتُ لِمَا أثبته الله ورسـوله. ونفيُ مماثلة المخلوقات؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشـورى: ١١]. ونفيُ العلم بالكيفية؛ فلا يعلم كيف هو إلا هو، والعلم بكيفية الصفات فرعٌ عن العلم بكيفية الذات[٣]، فلا يعلم كيف استوى، أو كيف ينزل، أو كيف وجهُه، أو كيف يداه، أو كيف يضحكُ إلا هو.

والجوابُ على مَن يسأل عن ذلك يقال: النزولُ معلوم، والضحكُ معلوم، والكيفُ مجهول، والسـؤالُ عنه بدعـة، كما أجاب الأئمة مالك وغيره[٤]، ولا يتأوَّلون شيئًا من ذلك.

---

(١) ينظر إبطال تحريف صفة النزول في: شـرح حديث النزول (ص١٣٨-١٤٩)، (ص٢٣٣-٢٣٦)، ومختصر الصواعق (٣/ ١١٠٠) وما بعدها.

(٢) ينظر: آداب البحث والمناظرة للشنقيطي (ص٣٦٥).

(٣) ينظر: شرح العقيدة التدمرية (ص٢١٣).

(٤) ينظـر التعليق على بعض هـذه الآثار في: التوضيحات الجلية في شـرح الفتوى الحموية (ص٢٨٦).

وكلُّ مَن نفى صفةً ثبتت بالكتاب أو السنة، فإمَّا أن يفوِّض، وإمَّا أن يؤوِّل؛ فهما طريقتان معروفتان للنفاة[١]، والغالب التأويل. فإمَّا أن يقول: هذه النصوص نؤمن بها ونتلوها ولا نتدبَّرها ولا نفهمها، ولا نثبت شيئًا من ظاهرها، وهذا مذهب أهل التفويض من المعطلة، وإمَّا أن يُفسروها بتفسيرات تخالفُ ظاهرها كما يُفسرون النزولَ بنزول الرحمة، أو بنزول ملَكٍ[٢]، يقول: «**هل من سائلٍ، هل من مستغفرٍ، هل من داعٍ، فأستجيب له**»! أو يؤوِّل الضحك بالرضا[٣]، والرضا بالإرادة[٤].

وأكثرُ الأشاعرة المتأخرين يُثبتون الصفات السبع[٥] على ما في إثباتهم من الخلل والنقص والانحراف، ويؤوِّلون سائر الصفات؛ كالوجه بالذات أو بالثواب[٦]، واليدين بالقدرة أو النِّعمة[٧]، والضحك بما تقدَّم، ويفسرون الرحمة

---

(١) كما قال اللقاني في «جوهرة التوحيد» من كتبهم:

وكلُّ نصٍّ أوهَمَ التشبيها
أوِّلْهُ أو فَوِّضْ ورُمْ تنزيهَا

تحفة المريد للبيجوري (ص ١٠٣).

(٢) ينظر: الشامل في أصول الدين (١/ ٥٥٨-٥٦٠).

(٣) ينظر: أساس التقديس (ص١١١).

(٤) ينظر: تمهيد الأوائل (ص٤٧).

(٥) وهي: القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر. وهي الصفات التي يسمونها صفات المعاني أو الصفات المعنوية، ويجعلونها في مقابل الصفات النفسية أو الذاتية، مثل كون الرب موجودًا، وقائمًا بنفسه، وقديمًا عند بعضهم، ويضيفون إليها قسمًا ثالثًا، وهي الصفات الفعلية، وهي صفات إضافية اعتبارية غير قائمة بالله عندهم وإنما مجرد تعلُّقات عدمية، وقد انتقد شيخ الإسلام هذا التقسيم عندهم. ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢١-٢٨)، (٣/ ٣٢٢-٣٣٣)، وبيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٠).

(٦) أساس التقديس (ص٩١). وينظر الرد عليهم في: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٩٢).

(٧) ينظر: المواقف (٣/ ١٥٢). وينظر الرد عليهم في: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٤٦).

بالإرادة[١]، أو يفسرون هذا كله ببعض المخلوقات؛ كتأويلهم بما يخلقه الله من النعم[٢]، ويفسرون الغضب والسخط بالإرادة، أو بما يخلقه الله من العقوبات[٣]، فهم يدفعون النصوص إمَّا بالرد إن قدروا على ردِّه، وإمَّا بالتأويل أو بالتحريف الذي يُسمونه تأويلًا.

وإذا قلنا إنهم يؤوِّلون، فتأويلهم في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنه صرفٌ لألفاظ النصوص عن ظاهرها بلا حجةٍ يجب المصير إليها، فكلُّ ما يتأوَّلُه أهلُ التأويل لنصوص الصفات فهو في الحقيقة تحريفٌ للكلم عن مواضعه.

قوله: (وجميعُ هذه يجب إثباتها لله صفاتٍ لذاته): جميع هذه الصفات؛ أي التي ذكرها في قوله: (**ويجب أن نعتقد أنَّ الله موصوفٌ بما وصف به نفسَه من الصفات، سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، قديرٌ، حيٌّ، مُريدٌ، ووُصِفَ بالنَّفْس، والذَّات، والوجه، والعين، واليَدِ -وكلتا يديه يمين- والأصابعِ، والقدَمِ، وأنه يضحك، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا**): يجب إثباتها لله، والمصنفُ يقول: إثباتها لذاته، وهذا التعبيرُ يحتمل أن يُريد به مذهب الكلَّابية والسالمية القائلين بأنَّ صفاته تعالى كلَّها قديمةٌ، ليس منها شيءٌ متجدِّد بمشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلا فحقٌّ أنَّ

(١) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص١٢٨)، وتحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص١١).

(٢) اختلفوا في الرحمة هل هي عبارة عن إيصال الخير والنعمة أو عن إرادة إيصال الخير والنعمة؟ فعلى التقدير الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال، وعلى هذا التقدير الثاني تكون من صفات الذات. ينظر: تفسير الرازي (١٤/ ٢٨٥).

(٣) ينظر: تمهيد الأوائل (ص٤٧)، وأساس التقديس (ص١١٢).

أفعاله صفــة لذاته؛ بمعنى أنها قائمةٌ بذاته، لكن نظرًا إلى ما ورد في كلامه من بعض العبارات المشعرة بقول السالمية كما تقدَّم[١]، كانت عبارتُه محتملةٌ.

والعلمُ صفة ذاتيةٌ قطعًــا، والحياة كذلك، وأمَّا النزول فليس صفة ذاتية؛ بل صفة فعلية تابعة لمشــيئته، وكذلك الاستواء، والغضب، والرضا، وما أشبه ذلك كلها صفات فعليةٌ تكون بمشيئته.

فقوله: (وجميعُ هذه يجب إثباتهــا لله صفاتٍ لذاته). إذا أريد أنها قائمةٌ بذاته فهذا حقٌّ، وأمَّا إذا أراد أنها صفات ذاتيةٌ قديمةٌ ليست تابعةً لمشيئته، فهذا فيــه تفصيلٌ، فالصفات عند أهل الســنة منها صفات ذاتيــةٌ؛ كالحياة، والعلم، والقدرة، والعزة، وما أشــبه ذلك. ومنها صفاتٌ فعليــةٌ؛ كالنزول، والمجيء، والاســتواء، والضحــك، وغير ذلك، وهنــاك صفات ذاتيةٌ فعليــةٌ؛ كالكلام، والخلق، فالكلامُ صفةٌ ذاتيةٌ فعلية، والخَلقُ صفةٌ ذاتية فعلية[٢].

وقولــه: (لا هي هو ولا هي غيره): لا يقال: إنَّ صفات الله هي الله، ولا يقــال: هي غيره؛ بل هي صفات قائمةٌ به، فلا نقــول: حياة الله هي الله، وهذا قــول بعض النُّفاة المعطِّلة من الفلاســفة، يقولون: بأنَّ الصفة هي الموصوف، ويجعلون كلَّ صفة هي الصفة الأخرى، وهذا من أعظم المغالطات والمناقضات للعقل والشــرع، فالحياة غير القدرة، والقدرة غير العلم، والعلم غير الســمع، والسمع غير البصر، فهذه معانٍ متغايرة.

وإذا قيل: صفات الله غير الله، فكلمة «غير» تحتمل أن يُراد بالغير الشيءُ المبايــن المنفصلُ، وتحتملُ أن يراد بها المغاير في المفهوم والمعنى؛ فإذا قال

---

(١) تنظر: (ص٤٤).

(٢) ينظر: القواعد المثلى بتعليق شيخنا (ص٧٦).

قائـل: صفـة الله غير الله، إن أراد بأنها غيره؛ أي: شـيءٌ مباين له منفصلٌ عنه -كما يقول المعتزلة في كلام الله- فهذا باطلٌ، فليست غيره بهذا المعنى، وإن أُريـدَ أنَّ صفةَ الله غيـرُ الله من حيث المعنى، فاللهُ هـو الموصوفُ بالرحمة وبالعلم، والعلمُ هو صفةٌ قائمةٌ به، فالعلمُ هو صفةُ العالِم، والقدرةُ صفةُ القادر، والسمعُ هو صفةُ السميع، والبصرُ كذلك، فإطلاقُ المؤلف عبارته الأولى: (**لا هي هو**) عندي أنها صحيحةٌ على الإطلاق، أي: أنَّ صفات الله ليست هي الله، وأمَّـا قولـه: (**ولا هي غيـره**)، فهذا غير مسـتقيمٍ؛ بل لا بد فيه مـن التفصيل كما ذكرت.

وهذا المعنى قد أوضحه وجلَّاه الإمامُ شيخ الإسلام ابن تيمية في بحوثه المسـتفيضة[(١)]، ومن مناهجه العظيمة: التفصيل في الألفاظ المجملةِ والألفاظ المبتدَعـةِ، فمـا كان من هذا الباب من الألفاظ فلا بـد فيها من التفصيل؛ لأنه المخرَج، فمَن لم يفصِّل يقع في الغلط، إمَّا في إثبات الباطل أو نفي الحق[(٢)].

وقوله: (بل صفاتٌ له كما جاءت من غير كيفيةٍ، ولا تشـبيهٍ، ولا تأويلٍ، ولا تفسـير، تعالى الله أن يُشـبِه شيئًا، أو يُشبهه شـيءٌ): (كما جاءت من غير كيفيـةٍ)؛ يعني: يجب إثباتهـا لله كما جاءت، فيجب إثباتهـا صفاتٍ لله، كما وردت في كتاب الله وسـنة رسـوله ﷺ، **وقوله: (من غير كيفية)**، إذا أُريد بغير

(١) ينظـر: درء تعارض العقـل والنقل (٣/ ٢٣-٢٥)، ومجموع الفتـاوى (٣/ ٣٣٦-٣٣٧)، (١٧/ ١٦٠).

(٢) ينظر على سـبيل المثال: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٣) وما بعدها، (١/ ٢٣٨) وما بعدهـا، (١/ ٢٩٦)، (٢/ ١٠٤)، ومنهـاج السـنة (٢/ ٥٢٧-٥٢٨)، (٢/ ٥٥٤-٥٦٣)، (٢/ ٦١١) وما بعدها، ومجموع الفتـاوى (٥/ ٣٠٥)، (٦/ ٣٦) وما بعدها، (١٧/ ٣٠٤) وما بعدها.

تحديدٍ للكيفية، ولا بحث عن الكيفية فهذا صحيحٌ، وإن أراد نفي الكيفية بمعنى أن صفات الله ثابتةٌ له ليس لها كيفيةٌ فهذا باطلٌ[(١)]، ولعله لا يقصده، وإنما الأمر كما قال السلف: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيفية»[(٢)]؛ يعني بلا تكييفٍ، ولا تحديدٍ لكيفية صفات الرب، ولا بحثٍ عنها.

فإذا قيل: هل لصفات الله كيفية؟

فالجواب: نعم.

وإذا قيل: هل يَعلم العباد كيفيةً لصفاته؟

فالجواب: لا.

والجواب عن هذين السؤالين هو الذي يحصُل به الفصل والبيان لِمَا يُثبَت وما يُنفى، فالمنفيُّ هو العلم بالكيفية لا الكيفية.

وقوله: (ولا تشبيهٍ، ولا تأويلٍ، ولا تفسير): تقدَّم[(٣)] أنَّ مذهب أهلِ السنَّةِ والجماعة في هذا الباب يقوم على ثلاثة أصولٍ: الإثباتُ لِمَا أثبته الله ورسوله ﷺ. ونفيُ التمثيل، أي: نفي تمثيل صفاته بصفات المخلوقين؛ لأنه ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ونفيُ العلم بالكيفية.

---

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٨/ ٣٠٥)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٨١)، (١٣/ ٣٠٩).

(٢) أخرج اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٨٢ رقم ٩٣٠)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٩٥٥) -واللفظ له- عن الوليد بن مسلم، قال: سئل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث... فقالوا: أمرُّوها كما جاءت بلا كيفية. وينظر التعليق عليه في: التوضيحات الجلية على الفتوى الحموية (ص٢٨٦).

(٣) تنظر: (ص٢٩)، (ص٦٠).

أمَّا عطف التفسير على التأويل في **قوله: (ولا تأويل ولا تفسير)** فمن قبيل عطفِ المرادف، والمرادُ عدمُ التأويل والتفسير الذي يتضمَّن صرفَ الكلامِ عن ظاهره، ومثل هذه الكلمة نجدهـا في بعض عبارات الأئمة المعروفين بإثبات الصفات[(١)]، وهي محمولةٌ على نفي التفسير المخالف لظاهر النص[(٢)]، فقولهم: «أمرُّوها كما جاءت بلا تكييفٍ»، وقولهم: «بلا تفسيرٍ»، «ولا معنى»[(٣)]؛ يريدون التفسـير الذي يحصل به صرف اللفظ عن ظاهره؛ لأنَّ التأويل عند المتكلمين صرف الكلام عن ظاهره، وهو نوع من التفسير، لكن إذا كان هذا الصَّرف ليس عليه دليل، فهو تفسيرٌ باطلٌ، وتحريفٌ للكَلِم عن مواضعه[(٤)].

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٠٨ رقم ٧٤٠)، والأسماء والصفات (٧٥٩)، (٧٦٠).

(٢) ينظر: الحموية بشرح شيخنا (ص٣٣٢).

(٣) رويت عن الإمام أحمد كما في إبطال التأويلات (ص٥٠ رقم ٩)، وجاءت الرواية المفسِّرة والشـارحة فـي الإبانة الكبرى لابن بطة (٧/ ٥٨ رقم ٥٠): «قـال أبو عبد الله (أي الإمام أحمد): ونحن نؤمـن بالأحاديث في هذا ونقرها، ونمرها كما جاءت بلا كيف، ولا معنى إلا على ما وصف به نفسـه تعالى، نسأل الله السـلامة في الدنيا والآخرة، ونعوذ بالله من الزلل والارتياب والشك، إنه على كل شيء قدير».

(٤) تنظر معاني التأويل في: الحموية بشرح شيخنا (ص٢٥٨).

من الأصول العقلية أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات

والـكلامُ في الصفات فرعٌ على الكلام في الذات، فـإذا كان إثبات الذات إثباتَ وجودٍ لا إثباتَ كيفيةٍ وتشـبيهٍ فكذلك إثبات الصفات، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشـورى]، وليس ما وصف الله تعالى به نفسَه ووصفَه به نبيُّه تشبيهًا.

ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى استوى على عرشه، وأنه عالٍ فوق عباده ولا أسـفل منهم، وعلمه وقدرته محيطٌ بهم، وأنَّه بائنٌ من عرشه، والعرش بائنٌ منه، والاستواء معلومٌ، والكيف غير معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والجحود به كفرٌ، فتعالى الله أن يكون مُدرَكًا بحدٍّ، أو مُكيَّفًا بصورة خَلقٍ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى].

الشرح

هذا كلامٌ جيدٌ وهو أصلٌ معقولٌ، يُقال في التعبير عنه: القول في الصفات كالقـول فـي الذات[1]، يعني: ما يجـب أن نقوله في الـذات، وأن نعتقده من

(١) نص على هذا المعنى: الخطابي في رسالته الغنية عن الكلام وأهله -ضمن الحموية بشرح شـيخنا (ص٣٦٩)-، والخطيب البغدادي في رسـالته: «مسـألة في الصفات» طُبعت في مجلة الحكمة العدد الأول (ص٢٨١).

الإثبات ونفي التمثيل ونفي العلم بالكيفية يجب أن نقوله في الصفات كذلك؛ فالذات ذات مسمّى واحد وموصوف، ذات رب العالمين، والصفات صفاته، فلِمَ التفريق بينهما؟!

فالذات والصفات كلاهما مضافٌ إلى رب العالمين، فيجب أن يكون القول في الجميع واحدًا، أمَّا إثباتُ الذات ونفي التشبيه عنها، ثم نفي الصفات؛ هذا التفريقُ خلاف الشرع والعقل، وموجب العقلِ والشرعِ هو التسويةُ بين المتماثلين، فإذا وجب أن نُثبت لله ذاتًا حقيقةً لا تُشبه ذوات المخلوقين، فذاته متَّصفةٌ بصفاتٍ لا تُشبه صفات المخلوقين، هذا أصلٌ[(١)].

وكذلك في التكييف، إذا قلنا: لا نعلم كيفية ذاته؛ فكذلك لا نعلم كيفية صفاته، فالعلمُ بكيفية الصفةِ فرعٌ عن العلم بكيفية الموصوف، فهو تابعٌ له وفرعٌ عنه، كذا العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف، فإذا كنا لا نعلم كيفيةَ الموصوف؛ امتنع أن نعلم كيفيةَ الصفة؛ لأنَّ انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم.

فهذا أصلٌ يُردُّ به على نُفاة الصفات؛ كالجهمية ومَن تبعهم، ويُردُّ به على أهل التكييف، فيقال لمن قال: كيف ينزل أو كيف استوى؟ نقول له: كيف هو؟ فإذا قال: لا يعلم كيف هو إلا هو، نقول: وكذلك لا يعلم كيفية نزوله إلا هو؛ لأنَّ العلم بكيفية الصفة فرعٌ عن العلم بكيفية الموصوف كما تقدم[(٢)].

وليس ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ تشبيهًا، وهذا تعبيرٌ مأثورٌ عن الإمام نُعيم بن حمَّاد، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن شبَّه الله بخلقه كفر، ومَن

(١) ينظر: التدمرية بشرح شيخنا (ص٢١٣).
(٢) ينظر: شرح حديث النزول (ص٧٩)، ومجموع الفتاوى (١٢/ ٥٧٥).

جحد ما وصف الله به نفسه كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا»[١].

قوله: (ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى استوى على عرشه، وأنه عالٍ فوق عباده ...) إلى آخره: هذا تفصيلٌ لِمَا سبق، بأنه يجب أن نصف اللهَ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ولا تكييفٍ ولا تمثيلٍ، فهذا أصلٌ عامٌّ في جميع ما جاء في الكتاب والسنَّة من صفات الله، وعلى هذا الأصل نقول: يجب أن نؤمن ونعتقد بأنَّ الله عالٍ على خلقه؛ فصفة العلو ممَّا وصف الله به نفسه، وكذا الاستواء على العرش، ويجب أن نعتقد أنَّ الله عالٍ على جميع المخلوقات، يعني فوق جميع المخلوقات.

والأدلةُ على العلو والاستواء على العرش متضافرةٌ، وقد تضافرت على العلو دلالة الكتابِ والسنَّةِ والإجماع والعقل والفطرة[٢]، والأدلةُ السمعية النقليةُ أنواعٌ كثيرةٌ، منها[٣]:

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٨٧ رقم ٩٣٦)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٢/ ١٦٣)، والذهبي في العلو (ص١٧٢، رقم ٤٦٤) بنحوه، وصححه في العرش (٢/ ٣٠٥)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص١٨٤).

(٢) وقد ألَّف أهل السنة المؤلفات الكثيرة المفردة بصفة العلو، كما ذكروا هذه العقيدة في كتبهم العامة في العقائد وغيرها، ومن المؤلفات المفردة: «العرش وما روي فيه» لمحمد ابن أبي شيبة العبسي، و«إثبات صفة العلو» للموفق ابن قدامة المقدسي، و «الرسالة العرشية» لابن تيمية مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (٦/ ٥٤٥-٥٨٣)، و«اجتماع الجيوش الإسلامية» لابن القيم، و «العلو للعلي العظيم» للذهبي وغيرها كثير من مؤلفات المعاصرين.

(٣) ينظر: الكافية الشافية (٢/ ٣٠٧ رقم ١١١٣-١٦٩٣)، وإعلام الموقعين (٤/ ٦٧-٧٥).

وصفُه بالعلوِّ؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة]، أي: هو العليُّ بـكلِّ معاني العلو: علو الذات، وعلو القَدْر، وعلو القهر، له العلو بكلِّ معانيه، وهو العليُّ على خلقه(١).

ومـن أدلَّة العلو: الإخبارُ بأنه في السـماء، يعني فـي العلو؛ قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦]، وقول الرسـول ﷺ: «**ألا تأمنُوني وأنا أمِينُ مَن في السـماء؟!**»(٢)، وقال للجارية: «**أين الله؟**» فقالت: في السماء؛ فأقرَّها على ذلك(٣).

ومن أدلَّة العلو: إخبارُه تعالى بعُروج بعض المخلوقات إليه؛ قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعـارج]، ورفعُ بعض المخلوقات إليه كقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

وأمَّا الاستواء على العرش؛ فقد أخبر اللهُ به في سبعة مواضعَ من القرآن: في سورة الأعراف، ويونس، والرعد، وطه، والفرقان، و«ألم السجدة»، وسورة الحديد، في كلِّ هذه الآيات أخبر تعالى عن نفسه بأنه استوى على العرش؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه]، فيجب أن نؤمن بهذا وهذا، فنُثبت لله العلوَّ بكلِّ معانيه، ونُثبت له الاستواء على العرش بمعناه المعروف، فإنَّ اللهَ خاطب عبادَه بلسـانٍ عربيٍّ مبين، والاسـتواءُ في اللغة العربية يدلُّ على العلو

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٩٠٩)، والنونية (٢/ ٣١٠ رقم ١١٢٤) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسـلم (٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قد حاول المبتدعة؛ كالكوثـري والغماري والسـقاف الطعن فيـه وتضعيفه، وينظر في الرد عليهم: السلسـلة الصحيحة للألباني (٣١٦١)، وإعلاء حديث الجارية لسعد الشيخ.

والارتفاعِ والاستقرارِ، وقد جاءت هذه الألفاظ عن السلف في تفسير الاستواء، كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «النونية»[١] في ذِكر هذه المعاني قال:

فلهم عباراتٌ عليها أربع
قد حُصِّلت للفارس الطَّعانِ
وهي استقرَّ وقد علا وكذلك ار
تفع الذي ما فيه من نُكرانِ
وكذاك قد صعد الذي هو رابعٌ
وأبو عُبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره
أدرى من الجهميِّ بالقرآنِ

فذَكر في النظم: العلوَّ والارتفاعَ والاستقرارَ والصعودَ، وكلها معانٍ صحيحة يدل عليها لفظ استوى في اللغة، ولهذا تنوعت عبارات السلف في تفسير هذا الفعل، ونقلها المصنِّفون عنهم[٢]، واستنكر بعض المصنِّفين في العلو تفسير «استوى» بـ «استقر» كالذهبي[٣] والبيهقي[٤]، ولا وجه لهذا الاستنكار، ولهذا لم يوجِّهوا كلامهم بما يؤيده، والصواب أنه لا إشكال فيه ولله الحمد[٥]؛ فهو تعالى مستوٍ على العرش كما أخبر عن نفسه، وهو تعالى

(١) ينظر: النونية (٢/ ٣٦١ رقم ١٣٥٣ - ١٣٥٦).
(٢) ينظر على سبيل المثال: مجاز القرآن لأبي عُبيدة معمر بن المثنى (٢/ ١٥)، وتفسير الثعلبي (١٢/ ٣٦٥)، والتمهيد لابن عبد البر (٧/ ١٣١).
(٣) ينظر: العلو (ص٢٣٩)، (ص٢٦٢).
(٤) ينظر: الأسماء والصفات (٢/ ٣١٢).
(٥) ينظر على سبيل المثال مَن فسَّر الاستواء بالاستقرار في: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية لابن قتيبة (ص٥٠)، وشرح حديث النزول (ص٣٩٠-٣٩٢)، ومختصر الصواعق المرسلة (٣/ ٩٢٦).

مستوٍ على العرش بكل معاني الاستواء، والكلام في الاستواء المعدى بـ «على» فإنه الوارد في شأن العرش، وهو الذي فُسِّر بالعبارات الأربع التي ذكرها ابن القيم في البيت المذكور من «النونية»، والله أعلم.

إذن؛ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [السجدة: ٤]، يعني ارتفع وعلا فوق العرش، ليس معنى علوِّ الله أو فوقيَّة الله على خلقه أو على العرش فوقيةٌ معنويةٌ، أو فوقيةُ القَدْر كما يقول المعطِّلة نُفاة العلوِّ والاستواء الحقيقيين، فيقولون: إنَّ علوَّ الله علوّ قدرٍ، كما تقول: الذهبُ فوق الفضة فوقية قَدرٍ[(١)].

أمَّا الفرقُ بين العلو والاستواء، فالفرق بين هاتين الصفتين من ثلاثة أوجه[(٢)]:

من حيث طريق العلم بهما؛ فطريقُ العلم بالعلو السمعُ والعقلُ، وأمَّا الاستواء فطريق العلم به هو السمعُ.

ومن حيث تعلُّق العلو؛ فالعلوُّ عام على جميع المخلوقات، فنقول: اللهُ فوق جميع مخلوقاته عالٍ على جميع مخلوقاته، وأمَّا الاستواء فهو مختصٌّ بالعرش؛ فلا نقول: الله مستوٍ على السماء الدنيا أو الأولى أو السابعة؛ بل نقول: الله مستوٍ على العرش، ونقول: الله فوق العرشِ، فالاستواء على العرش يستلزم العلوَّ، وأمَّا العلوُّ فإنه لا يستلزم الاستواء على العرش، فالله لم يزل عاليًا على كلِّ شيء.

والفرقُ الثالث: وهو أنَّ العلو صفةٌ ذاتيةٌ لله لا تنفك عن ذاته، وأمَّا الاستواء فصفةٌ فعليةٌ تابعة لمشيئته تتعلق بها المشيئة؛ لأنها فِعل مِن أفعاله،

---

(١) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣/ ١٠٦٠).

(٢) ينظر: شرح حديث النزول (ص ٣٩٥)، ومجموع الفتاوى (٥/ ١٢١-١٢٢).

ولهذا أخبر بأنه استوى على العرش بعد خلق السموات والأرض وعطفه عليه بـ «ثم» في قوله تعالى، ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وإثباتُ العلوِّ والاستواء لله تعالى يتضمَّن نفي الحلول، فنُفاة العلو من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة كثيرٌ منهم يقول بأنه تعالى في كلِّ مكان -تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا-، ولهذا ردَّ عليهم أهلُ السنة بأنَّ قولهم هذا يستلزم أن يكون الله في بطون الحيوان وفي الحُشوش وفي الأمكنة المستقذَرة[١]، وأنَّ المخلوقات تحيط به، والله تعالى أعظمُ وأكبر أن يُحيط به شيءٌ من مخلوقاته، هو أعظم وأكبر من أن يُحيط به شيءٌ من الأحياز؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، ولهذا كثيرًا ما يقرن الله بين هذين الاسمين «العلي» و«العظيم»، وهو تعالى فوق مخلوقاته كما قال أئمة السنة: فوق سمواته على عرشه بائنٌ من خلقه[٢]، ومعنى «بائن من خلقه»؛ أنه ليس حالًّا في شيءٍ من مخلوقاته؛ فليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، هذا معنى قول أهل السنَّة: أنه تعالى بائنٌ من خلقه، بل هو فوق جميع مخلوقاته عالٍ على عرشه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[٣].

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد (ص٢٨٧-٢٨٩).

(٢) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (ص١٥١ رقم ٣١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢١٦) عن عبد الله بن المبارك. وينظر: الإبانة الكبرى (٧/ ١٣٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨ رقم ٣٢١)، (١/ ٢٠٤ رقم ٣٢٣)، (٣/ ٤٤٥ رقم ٦٧٤).

(٣) ينظر: التسعينية (٢/ ٥٤٥)، ومجموع الفتاوى (١/ ٣٦٧)، (٢/ ١٢٦)، (٥/ ٢٦٢).

قوله: (ولا أسفل منهم): صوابه: (لا أسفل منهم) وهذا تأكيد **لقوله: (عالٍ فوق عباده)**، أو على مخلوقاته، يعني أنه له العلوُّ دون السُّفل؛ فالسُّفل نقص، وهذا تأكيد لكمال علوِّه؛ فهو عالٍ منزَّه عن السُّفل بوجه من الوجوه.

قوله: (وعلمه وقدرته محيطٌ بهم): أي: علمُ الله تعالى وهو فوق مخلوقاته محيطٌ بهم؛ فهو مع عباده بعلمه وقدرته وسمعه وبصره، فعلمُه يحيطُ بالعباد وهو فوق سمواته كما في حديث ابن مسعود: «...**والعرشُ فوق الماء، واللهُ فوق العرش، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدم**»[(١)].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿لِّتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق]؛ فلا يخرج عن علمه ولا عن قدرته شيءٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٧٥﴾ [الأنفال].

قوله: (وأنه بائنٌ من عرشه): إذا أراد أنه ليس حالًّا في العرش، وداخلًا فيه، أو أنه لا يُحيط به شيءٌ من العرش، والعرش ليس داخلًا في شيء من ذاته؛ فهذا صحيح كما تقدَّم[(٢)]، وإن أراد -كما يُعبِّر بعض المتكلِّفين- أنه منفصلٌ

---

(١) أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (ص٣٠٠ رقم ١٠١)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٣٨ رقم ٦٥٩) واللفظ له. وصححه الذهبي. ينظر: العلو (ص٤٥-٤٦)، (ص٧٩)، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٢٥٤).

(٢) تنظر: (ص٧٣).

عن العرش، وأنه فوق العرش من غير مماسةٍ، فهو تكلُّفٌ[١]، فإنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فوق العرش كيف شاء، لا نُكيِّف؛ بل نقول: إنه فوق العرش وكفى، مستوٍ على العرش وكفى، فوق سمواته على عرشه بائنٌ من خلقه.

قوله: (والاستواء معلومٌ، والكيف غير معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والجحود به كفرٌ): هذا هو معنى ما أُثر عن الأئمة مالك[٢] وربيعة[٣] ويُروى موقوفًا ومرفوعًا عن أم سلمة[٤]، وقصة مالك مع الرجل الذي قال له كيف استوى؟ مشهورة فأجابه بالجواب المحكَم المعروف.

والاستواءُ معناه معلومٌ لغة؛ لأنَّ القرآن نزل بلسانٍ عربيٍّ، لا يخاطب الله عباده بما لا يُفهمُ معناه؛ بل الاستواء معناه معلومٌ. إذن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤] يعني علا وارتفع على العرش، **(والكيفُ)**: كيفية استواء الله على عرشه غير معقولةٍ لنا، لا نعقلها؛ بل هي مجهولةٌ لنا. **(والإيمانُ به واجبٌ)** تصديقًا لخبر الله ورسوله، الإيمان بالاستواء واجبٌ؛ كالإيمان بعِلم الله وسمعِه وبصره وقدرته وعزَّته وحكمته.

---

(١) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٥/ ١٢٤-١٢٨)، ونصوص وتعليقات لشيخنا (ص٥٥).

(٢) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٠٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١، رقم ٦٦٤)، والأسماء والصفات للبيهقي (رقم ٨٦٦-٨٦٨)، وقد صحَّح هذا الأثر عن مالك: الذهبي في العلو (ص ١٣٨، رقم ٣٧٧)، وجوَّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١ رقم ٦٦٥).

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٧/ ١٦٢ رقم ١٢٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤٠ رقم ٦٦٣) موقوفًا عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
قال شيخ الإسلام في شرح حديث النزول (ص١٣٣): «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا ومرفوعًا ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه»، وقال الذهبي في العلو (ص٨١): «فأما عن أم سلمة فلا يصح».

فيجب الإيمان بالاستواء على العرش. (**والجحود به كفرٌ**)؛ لأنه تكذيبٌ لله ورسوله فمن جحد شيئًا من صفات الله كفر، فلو قال قائل: الله ليس مستوٍ على العرش كما لو قال: الله ليس حيًّا، والله تعالى يقول: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فهذا كفرٌ بما أخبر الله به عن نفسه في كتابه؛ كما لو قال: إنه تعالى لا يغضب ولا يرضى؛ فالجحود به كفرٌ، ولكن بما أنَّ المنتحلين لهذه المذاهب من المسلمين لا ينفون النصوص صراحةً ولا يقولون: الله ليس مستويًا على العرش؛ بل يُثبتون الاستواء لفظًا ويؤوِّلونه أو يفوضونه؛ فلذلك لا يكفِّرهم الأئمة، ولا سيما العامة منهم؛ فإنهم جهال مقلدون لمن يحسنون بهم الظن، وبعض علمائهم عرضت لهم شبهات أوجبت لهم تأويل النصوص أو تفويض معانيها؛ فلذلك لا يكفِّرهم الأئمة، أما من عُرف بأنه معاند للحق متبع لهواه فهذا لا شك في كفره.

وبهذا يُعلم أن نفاة الصفات من المنتسبين للسنة؛ كالأشاعرة فريقان[١]: أهل تفويض، وأهل تأويل؛ فأهل التأويل يفسرون نصوص الصفات بما يخالف ظاهرها بغير دليل؛ فيصير تأويلهم في الحقيقة تحريف؛ فبذلك يجمعون بين التعطيل بنفي الصفات والتحريف بتأويل النصوص،كما يفسرون الاستواء بالاستيلاء بغير دليل يوجب ذلك، والعلو بعلو القدر والقهر، ويفسرون المحبة والرضا إما بإرادة الإنعام، أو بالنعم، ويفسرون البغض والغضب بإرادة الانتقام أو بالعقوبات[٢]، وأما أهل التفويض فهم كذلك ينفون حقائق الصفات، ويفوضون معاني النصوص؛ أي: يفوضون علمها إلى الله، ويستدلون بقوله

(١) تنظر: (ص٦١).
(٢) تنظر: (ص٦١).

تعالى في المتشابه من الآيات: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]، ويقولون: خوطبنا بهذه الآيات بما لا يفهمه أحد من العباد حتى الرسول والصحابة؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] فخص علم المتشابه بالله تعالى، ونصوص الصفات من ذلك، ولهذا يسميهم الإمام ابن تيمية: «أهل التجهيل»[(١)] فتبين أن كلًّا من مذهبي: التأويل، والتفويض باطل مبني على باطل، وهو تعطيل الصفات، وليس أهل التفويض خير من أهل التأويل؛ فكلهم معطلة ينفون الصفات، لكن أهل التأويل ضموا إلى التعطيل التحريفَ، وأهل التأويل عطلوا النصوص عن معانيها بل عطلوها عن أي معنى يراد من العباد فهمُه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «التدمرية»: «وهؤلاء الذين ينفون التأويل مطلقًا -يعني: أهل التفويض-، ويحتجون بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] قد يظنون أنّا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد، أو بما لا معنى له، أو بما لا يُفهم منه شيء، وهذا مع أنه باطل فهو متناقض ...» إلى آخر كلامه[(٢)].

قوله: (فتعالى الله أن يكون مدرَكًا بحدٍّ أو مُكيَّفًا بصورة خَلقٍ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]): (**تعالى**) مثل سبحان لفظان يدلان على التنزيه، ولهذا يردان في القرآن كثيرًا مقترنين أو متفرقين؛ كقوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]، وقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر]، وقوله: ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾ [النحل].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٥)، والجواب الصحيح (٦/ ٥٢٠)، والحموية بشرح شيخنا (ص٢٤٨).

(٢) التدمرية بشرح شيخنا (ص٤٥٥).

والمقصود من التنزيه: تنزيه الله عن النقائص والعيوب ومماثلة شيء من المخلوقات أو يماثله شيءٌ من المخلوقات كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى]؛ فيقول المؤلف: (**تعالى**) أي: سبحانه أن يكون مُدرَكًا بحدٍّ، والحدُّ يُراد به في عُرف المناطقة -وصار عرفًا عند أهل الأصول- هو بيانُ ماهيَة الشيء، أو اللفظ الذي تعرفُ به ماهيةُ الشيء[(١)]، ومعنى كلام المؤلف: تعالى الله أن يكون مُدرَكًا بلفظٍ يحدِّد حقيقة الرب تعالى، فنحن نعرف ربنا بأسمائه وصفاته وبتعريفه لنا في آياته المتلوَّة وآياته المخلوقةِ، لكن لا نعلم كيفية ذلك؛ فقوله: تعالى الله أن يكون مُدرَكًا بحدٍّ يشبه أن يقول: تعالى الله أن يكون مُدرَك الكيفية والحقيقة، أي: تعالى الله عن أن يكون مُدرَكًا بعبارة تحدِّد كُنهَ ذاته أو مُكيَّفًا بصورة خلقٍ[(٢)].

وتحديدُ الكيفية قد يكون بعبارةٍ أو يكون بذِكر مثالٍ، فالمؤلف يقول: تعالى الله عن أن تكون حقيقته مُدركةً بتعبيرٍ أو تمثيلٍ.

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ردٌّ للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى] ردٌّ للإلحاد والتعطيل؛ فالآية دلت على إثبات الحق، ورد الباطل في باب الصفات، ولهذا مذهب أهل السنة مبني على هذه الآية، وهو إثبات الصفات بلا تمثيل، وتنزيهه تعالى عن كلِّ نقص بلا تعطيل.

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: مَحَكُّ النظر (ص٢٦٦)، وروضة الناظر (١/ ٨٢).

(٢) ينظر: جامع المسائل لابن تيمية (٨/ ٧٠)، وشرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص١٤٢).

أصول الإيمان وأمور اليوم الآخر

ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى يُرى في الآخرة، يراه المؤمنون بأبصارهم من غير حَدٍّ ولا كيف، والكفار عن رؤيته محجوبون. ويجب الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخر والجنةِ ونعيمها والنارِ وأليم عِقابها، والشفاعةِ، وذبحِ الموت، والحوضِ المكرم به نبيَّنا ﷺ، والصراطِ، والميزانِ، وخروجِ الدجالِ، والدابةِ، وطلوعِ الشمس من مغربها، ونزولِ عيسى بن مريم، يقتلُ الدجالَ ويكسرُ الصليبَ ويقتل الخنزير، والبعثِ والنشور، والعرضِ والحسابِ، وعذابِ القبر ومُساءلةِ مُنكرٍ ونكيرٍ، والجنِّ والشياطين، وأن لا يُخلَّد في النار مَن في قلبه مثقال حبَّةٍ من خردل من إيمان.

الشرح

مما يعتقدُه أهل السنَّة، ويُؤمنون به؛ أنَّ الله يُرى يوم القيامة بالأبصار يراه المؤمنون عيانًا بأبصارهم في عرصات القيامة، ويرونه بعد دخولهم الجنة. والأدلة على هذا مستفيضةٌ من الكتاب والسنَّة وعليه إجماعُ السلف ومَن تبعهم[1]؛ فمن أدلَّة الكتاب على إثبات الرؤية:

(١) ينظر: الشريعة للآجري (٢/ ٩٧٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٢٠).

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ [القيامة] أي: بهيَّةٌ مشرقةٌ حسنةٌ، ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة] يعني: تنظر إلى ربها نظر إبصارٍ(١). وهذا هو معنى النَّظر المعدَّى بـ «إلى»، فالنَّظر إذا تعدَّى بـ «إلى» كان معناه القصد إلى رؤيته(٢).

كذلك قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، جاء تفسيرُ الزيادة في السنَّة بأنها النَّظر إلى وجهه الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ(٣).

كذلك قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ [ق](٤).

وكذلك قوله تعالى في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]. يدل بطريق اللزوم أنَّ المؤمنين يرونه؛ إذ لو كانوا لا يرونه ما كان بينهم وبين الكفار فرقٌ(٥).

وثبت في السنَّة المتواترة(٦) منها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**هل تضامون في رؤية القمرِ ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله قال: «**هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحابٌ؟**» قالوا: لا يا رسول الله قال: «**فإنكم ترونه**

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ٥٠٥)، وابن كثير (٨/ ٢٧٩).
(٢) ينظر: حادي الأرواح (٢/ ٦٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (١٨١) من حديث صُهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا.
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٤٥٤)، وابن كثير (٧/ ٤٠٧).
(٥) جاء هذا الاستدلال بنحوه عن ابن عيينة ومالك والشافعي وجماعة من السلف. ينظر: الإبانة لابن بطة (٧/ ٥٩-٦٠)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥١٦) وما بعدها، وحلية الأولياء (٧/ ٢٦٩).
(٦) أحاديث الرؤية متواترة، رواها سبعةٌ وعشرون صحابيًّا، ساقها ابن القيم وغيره، ينظر: حادي الأرواح (٢/ ٦٢٥)، ونظم المتناثر (٣٠٧).

كذلك»[(١)]، فأهل السنَّة والجماعة يؤمنون أنه تعالى يُرى عيانًا بالأبصار، وتأكيدًا لهذا شبَّه النبي ﷺ ذلك بتشبيه رؤية المؤمنين لربهم برؤية الناس للشمس والقمر، وهذا التشبيه تشبيهٌ للرؤية بالرؤية؛ يعني شبَّه رؤية المؤمنين لربهم برؤيتهم للشمس والقمر. وذلك من وجوهٍ[(٢)]:

من حيث وضوح الرؤية فيرون ربهم رؤيةً جليَّةً واضحةً ليس في رؤيتهم لربهم خفاءٌ.

ويرونه من فوقهم من العلو لا من السُّفل كما يَرى الناس الشمس والقمر من علوٍّ.

ولا يلحقهم عند رؤيته ضيمٌ أو ضررٌ بالتزاحم أو تكلُّفٌ في الرؤية، فالرؤية واضحةٌ؛ فالهلالُ تحتاج رؤيته إلى معاناةٍ؛ لكن القمر يرونه الناس بكلِّ سهولةٍ ويُسرٍ.

وكذلك يرونه تعالى من غير إحاطةٍ؛ قال تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] فالمؤمنون يرون ربهم رؤيةً من غير إحاطةٍ ومن غير أن تدركه الأبصار، وأجمع أهل السنَّة على ذلك.

قوله: (غير حَدٍّ ولا كيف): بلا كيف يعني: لا نقول: كيف يُرى؟ وعند رؤيته: كيف يكون؟ لكن رؤية المؤمنين لربهم بيَّنها الرسول ﷺ لنا: أنهم يرونه كما يرون القمر.

---

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢) بنحوه.

(٢) ينظر: التوضيح للمسائل العقدية في مقدمة الرسالة القيروانية لشيخنا (ص٩٨-٩٩).

ومن ذلك أنها رؤيةٌ بصريةٌ كما يَرى الناس الشمس والقمر عيانًا بأبصارهم، ليســت رؤية قلبية عِلميَّة؛ بل هي رؤيةٌ بصريــةٌ، لكن لا نحدِّد كيفيَّة الرب عند رؤيتهم له، أنهم يرونه على هيئة كذا أو هيئة كذا، بل يظهر لهم فيرونه كيف شاء.

والجهميــةُ والمعتزلةُ ينفون الرؤية عن الله ويســتدلُّون بمثل قوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. وهي حجَّةٌ عليهــم لا لهم؛ فقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ هو نفيٌ للإحاطة، ونفيُ الإحاطة يســتلزم إثبات الرؤية من غير إحاطةٍ[(١)]. وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ تدلُّ على إمكان الرؤية وهم يقولون بأنَّ رؤية العباد لربهم ممتنعةٌ، ويقولون أنَّ الله لا يُرى، كما أنه تعالى لا يموت ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام، كذلك يقولون إنه لا يُرى، فرؤيتُه عندهم ممتنعةٌ كامتناع هذه النقائص[(٢)]، وليس هذا منهم بغريبٍ ما دام أنهم قد نفوا صفات كمال الرب تعالى؛ فهذا من جملة تعطيلهم، ونقول: كون الشيء يُرى هذا كمالٌ، فما يُرى أكمل ممَّا لا يُرى، فإنَّ المعــدومَ لا يُــرى، فإذا قيل فــي رب العالمين: إنه لا يُرى كان ذلك تشــبيهًا له بالمعدوم[(٣)].

---

(١) ينظر: منهاج السنة (٢/ ٣١٧ - ٣٢١)، وحادي الأرواح (٢/ ٦١٨).

(٢) ينظر: حادي الأرواح (٢/ ٦٠٥-٦٠٨).

(٣) ولهذا قال عبد العزيز الماجشــون: «وإنما جحدَ رؤية الله يوم القيامة؛ إقامة للحجة الضالة المضلــة؛ لأنَّــه قد عرف أنه إذا تجلَّى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحدًا». ينظر: الإبانة الكبرى (٧/ ٦٦)، والتوضيح للمســائل العقدية في مقدمة الرسالة القيروانية (ص١٣٧-١٣٨).

أمَّا الأشاعرة فيقولون: إنه تعالى يُرى لا في جهةٍ، وهذا جارٍ على منهجهم في التذبذُب؛ لأن مذهبهم ملفَّقٌ من مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة؛ فيقولون: إنه يُرى لكن لا في جهةٍ[(١)].

أي: لا من فوقٍ ولا من تحتٍ ولا من أمامٍ ولا من خلفٍ ولا عن يمينٍ ولا عن شمالٍ؛ فهل هذا معقولٌ؟! لأن هذه رؤيةٌ خياليةٌ. والمعتزلةُ أعقلُ منهم في نفي الرؤية؛ لأنَّ هذه الرؤية التي يثبتها الأشاعرة ليست معقولة، وبهذا يُعلم أنَّ قولهم باطلٌ لكنهم باعتبار أنهم لم يصرِّحوا بنفي الرؤية كانوا بذلك أقرب من الجهمية والمعتزلة؛ ولماذا قالوا بنفي الجهة؟ لأنَّ الأصل عندهم نفي العلو؛ فلا بد أن يقولوا ذلك، فهم نفوا العلوَّ أولًا، فلما اضطروا إلى إثبات الرؤية أو لم يروا مانعًا من إثباتها قيَّدوها بقولهم: لا في جهةٍ. تعالى الله عن هذه الأقوال علوًّا كبيرًا[(٢)].

قوله: (والكفار عن رؤيته محجوبون): أمَّا الكفار فقد اختلف الناس فيهم[(٣)]؛ فقيل:

إنَّ الكفار لا يرون ربهم أبدًا، لا في عرصات القيامة، ولا بعد دخولهم النار من باب أولى.

---

(١) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص٤٢).

(٢) قول الأشاعرة بالرؤية مع نفي العلو في غاية التناقض، وجميع محاولاتهم لإزالة هذا التناقض لم تفلح إلا بأن تُفسَّر الرؤية بما يقربها إلى مذهب المعتزلة، ويكون النزاع بينهم لفظي، وهو ما استقر عليه مذهبهم «أن الرؤية أمر يخلقه اللّه في الحي». شرح المواقف للجرجاني (٨/ ١١٥-١١٦). وينظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٣٢-٤٣٥)، (٤/ ٤٢٠-٤٨٠)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٥٠)، ومنهاج السنة (٢/ ٣٢٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٦) وما بعدها، وحادي الأرواح (٢/ ٦٠٨-٦٠٩).

وبعضهم قال: إنهم يرونه في القيامة، لكن معلومٌ أنه لا يرونه رؤيةً تسرُّهم؛ بل يرونه رؤيةً تخزيهم ويُخزون بها؛ لأنهم إذا لقوا اللهَ وقد كفروا به وعصوه كانت رؤيتهم له أو لقاؤهم له سببَ خِزيهم وذلِّهم وهوانِهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام].

وقيل: إنما يراه المنافقون الذين يكونون مع هذه الأمة، وذلك أنهم إذا رأوه وكشف سبحانه لهم عن ساقِه، وسجدَ له المؤمنون وأراد المنافقون أن يسجدوا صارت ظهورهم كصَياصِي البقر -يعني مثل قُرون البقر[(١)]- لا يستطيعون أن يَنحنُوا[(٢)] كما جاء في تفسير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم][(٣)]. فكان المنافقون يسجدون لكن ما كانوا يسجدون لله إيمانًا وطاعةً وذلًّا واحتسابًا، إنما كانوا يسجدون نفاقًا وخِداعًا كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة]، وقال

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٨٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣٤٢٤) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا وصححه، وحسنه ابن القيم في حادي الأرواح (٢/ ٦٤٣). وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٢٩)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١٢٠٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٩٧٦٣) عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٤٣): «رواه كله الطبراني من طرق، ورجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني، وهو ثقة»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٩١)، وينظر: الصحيحة (٣١٢٩).
وجاء في البخاري (٤٩١٩) -واللفظ له-، ومسلم (١٨٣) عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رئاءً وسمعةً، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا**».

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٨٦)، وابن كثير (٨/ ١٩٨) وما بعدها.

تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة].

والأظهرُ أنَّ الكفار يرونه -وإذا قلنا يرونه فليس معنى هذا أنَّ كلَّ الكفار يرَونه- ثم يُحجبون، وفي حجبهم مزيدُ خِزيٍ لهم وتنكيلٍ وذلٍّ، نعوذ بالله من الخزي والعار وعذاب النار.

قوله: (ويجب الإيمانُ بالله وملائكته وكتبه ورسله واليومِ الآخر والجنةِ ونعيمها والنارِ وأليم عِقابها): ينتقلُ المؤلف بعد ذِكر ما يتعلَّق بالإيمان بالله؛ فإنه ذَكر فيما تقدَّم ما يجب اعتقاده في رب العالمين من التوحيد بأنواعه الثلاثة، وإن فصَّل فيما يتعلق بتوحيد الأسماء والصفات، وأفاض في الكلام على مسألة الكلام والقرآن؛ ينتقل إلى ذِكر بقيَّة أصول الإيمان.

فيقول: (ويجب): هذا إجمالٌ بعد تفصيلٍ. **(الإيمانُ بالله)**: يعني نؤمن بوحدانيته في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته. وكأنه يقول: فكما يجب الإيمان بالله على ما تقدَّم بيانُه وتفصيلُه، يجبُ الإيمان بملائكته وكتُبه ورُسله واليوم الآخر، والجنة ونعيمها، والنار وعذابها، فهذه جملةُ أصول الإيمانِ التي ذكرها الله في مواضع من القرآن، وذكر هذه الخمسة في آيتين، فيذكر هذه الأصول مُجتمعة في بعض الآيات ويذكر بعضها في آياتٍ أخرى؛ كالإيمان بالله واليوم والآخر والإيمان بالله ورسله، قال تعالى في هذه الأصول الخمسة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

فمن أصول الاعتقاد أو أصول الإيمان: الإيمانُ بالملائكة وأنَّ لله عبادًا مُكرَمين اسمهم الملائكة،

ولفظ الملَك يدلُّ على الرسالة[1]؛ فالملائكة رسل، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]؛ فيجب الإيمانُ بوجودهم وبما أخبر الله به من أحوالهم وأعمالهم وصفاتهم.

وقد دلَّت النصوص على أنهم مخلوقون عِباد مُكرمُون طائعون لله كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۝٢٨﴾ [الأنبياء]؛ فقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ المرادُ به قول المشركين: إنَّ الملائكة بناتُ الله، وقوله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ تنزيهٌ له عن قول المشركين، وقوله ﴿بَلْ عِبَادٌ...﴾ الآية، بيانٌ لحقيقة الملائكة[2]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

وهم طائعون عابدون لله، وهم أصنافٌ: منهم الموكَّلُ بكتابة أعمال العبادِ وأقوالهم، ومنهم الموكَّلُ بالأرحام وكتابة المقادير، ومنهم الموكَّلُ بالوحي المنزَّل على الرسُل كجبريل -وممن سُمي لنا من الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النار- ومنهم الموكَّلُ بقبض أرواح

(١) مِن الألوكة وهي الرسالة. ينظر: لسان العرب (١٠/ ٣٩٢).
(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٠).

العالمين؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

والآيات والنصوص من السنَّة في شأن الملائكة كثيرةٌ[(١)]؛ فالواجب الإيمانُ بهم على سبيل الإجمالِ، هذا فرض عَينٍ، وأمَّا التفصيلُ فالعلم بذلك فرض كفايةٍ، ومَن عَلِم شيئًا من هذا العلم وجب عليه الإيمان به[(٢)].

وكذلك الإيمان بكُتُب الله المنزَّلة؛ قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وكما دلَّ القرآن على هذه الأصول دلت السنَّة كما في حديث جبريل وجواب الرسول ﷺ له عندما قال: أخبرني عن الإيمان، قال: «**الإيمانُ أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسُله واليوم الآخر وتؤمن بالقَدَر خيره وشرِّه**»[(٣)].

ومن الكُتب التي سمَّاها الله لنا: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحفُ إبراهيم، وأعظمها وأكملُها وأجمعُها، وهو الكتاب المهيمنُ المصدِّقُ لِمَا بين يديه من الكتب: القرآن؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وكذلك الإيمانُ بالرسُل؛ فيجب الإيمانُ بأنَّ الله أرسل رُسلًا كثيرين مبشرين ومنذرين لإقامة الحجَّةِ على العباد؛ لئلَّا يكون للناس على الله حجةٌ

(١) ينظر: البداية والنهاية (١/ ٨٩)، ومعارج القبول (٢/ ٨٠٨-٨٢٦).
(٢) للاستزادة ينظر: عالم الملائكة الأبرار لعمر سليمان الأشقر.
(٣) أخرجه مسلم (٨-١) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مع اختلاف في بعض ألفاظه.

بعد الرسُل، وأوَّل الرسُل نوح[(١)]، وآخرهم محمد ﷺ، وآدم هو نبيٌّ من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[(٢)].

وقد قصَّ الله علينا قصص جَمعٍ من الأنبياء؛ كنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم، وهناك رسُل لم نُخبر عنهم تفصيلًا، كما قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

الأصلُ الخامس من أصول الإيمان: الإيمانُ باليوم الآخر، ويتضمن الإيمان بكلِّ ما يكون بعد الموت، وأعظم ذلك البعث بعد الموت والجنة والنار؛ والإيمانُ باليوم الآخر يكون بالقيامة الكبرى وهو بعث الناس من قبورهم؛ قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمانُ بالجنة دار المتَّقين، والنارِ دار الكافرين، قال تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]. وفي النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾ [آل عمران].

وأهلُ السنة والجماعة يؤمنون بأنَّ الجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان، وأنهما دائمتان لا تفنيان[(٣)]، وأمَّا أهل الضلال والبدعة؛

---

(١) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ائتوا نوحًا، فإنه أوَّل رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**...».

(٢) وأصرح دليل على نبوة آدم: ما أخرجه ابن حبان (٦١٩٠) -واللفظ له-، والحاكم (٣٠٣٩)، عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا، قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: «**نعم، مُكلَّم**»، وقال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم، ولم يخرجاه». وينظر: الصحيحة (٢٦٦٨).

(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٣١٣).

كالمعتزلة فيقولون: الجنةُ والنارُ لم تُوجدا الآن، وأنهما تُخلقان يوم القيامة[١]، ومن الأدلة على وجود الجنة والنار آياتٌ ونصوص كثيرة[٢]؛ فالرسول ﷺ عُرض عليه في موقفه في صلاة الكسوف الجنة والنار[٣]، وجاء في أحاديث عذاب القبر ونعيمه أنه يُفتَح للمؤمن بابٌ إلى الجنة يأتيه من رَوحها وطيبها، ويُفتَح للكافر بابٌ إلى النار فيأتيه من حرِّها وسمومِها[٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم]، وقال في فرعون وقومه أنهم: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾ [غافر].

وهما دائمتان باقيتان كما أخبر الله عن خلود أهل الجنة والنار فيهما[٥]، وفي حديث عُبادة بن الصامت: «**مَن شَهِد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنة حقٌّ والنار حقٌّ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**»[٦].

---

(١) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٤/ ٦٨).

(٢) ينظر: حادي الأرواح (١/ ٢٤)، (١/ ٩٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٧)، (٩٠٥)، (٩٠٤) من حديث ابن عباس وأسماء وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) هذا طرف من حديث البراء ابن عازب الطويل في صفة قبض روح المؤمن وروح الكافر، وقد أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الحاكم (١٠٧)، (١١١)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، (٤٤)، ونقل ابن القيم تصحيح أبي نعيم وأبي موسى الأصبهانيين. ينظر: تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٣١٩-٣٢٥)، وأحكام الجنائز (ص١٩٨).

(٥) ينظر: التوضيح للمسائل العقدية في مقدمة الرسالة القيروانية (ص١٤٥-١٤٨).

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٣٥) -واللفظ له-، ومسلم (٢٨).

وممَّا كان الرسول ﷺ يستفتح به في صلاته قوله: «**ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حقٌّ، وقولك حقٌّ، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ، والنبيون حقٌّ، ومحمد ﷺ حقٌّ، والساعة حقٌّ ...**»[(١)].

قوله: (والجنة ونعيمها): عطفُ الجنةِ والنارِ على الإيمان باليوم الآخر من عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ الإيمان باليوم الآخر يدخل فيه الإيمانُ بكلِّ ما أخبر به الله ورسوله مما يكون بعد الموت: من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما بعد النشور من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار[(٢)].

قوله: (والشفاعةِ، وذبحِ الموت، والحوضِ المكرم به نبيَّنا ﷺ، والصراطِ، والميزانِ): عطف المؤلف هذه الأشياء على الإيمان باليوم الآخر؛ لأنها كلها داخلةٌ في الإيمان باليوم الآخر، ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالشفاعة؛ شفاعة النبي ﷺ، وشفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين.

والشفاعات أنواع[(٣)]؛ فلِنبيِّنا الشفاعةُ الكبرى؛ وهي المقامُ المحمود، وهي الشفاعة في أهل الموقف أن يُقضى بينهم عندما يتراجع الأنبياء ويعتذرُون عن التقدُّم لها؛ كما في الحديث الثابت في الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (١١٢٠) -واللفظ له-، ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) ينظر: توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (ص١٦٨).

(٣) وتنظر بقية أنواع الشفاعة وأدلتها في: تهذيب السنن لابن القيم (٣/ ٣٠٨-٣١٤)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (١/ ٢٨٢ -٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٤٧٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأحاديث الشفاعة متواترة جاءت عن جمعٍ من الصحابة. ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٦٤)، ونظم المتناثر (٣٠١).

وكذلك لِنبيِّنا شفاعةٌ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة كما في صحيح البخاري[١] أنهم إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار، فإذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذِنَ لهم بدخول الجنة، ثبت أنه لا يدخلونها حتى يستشفعوا بالأنبياء وحتى يشفع النبي ﷺ للمؤمنين بدخول الجنة[٢].

ومن شفاعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ شفاعتُه في أهل الكبائر من أمته، الذين دخلوا النار، أن يخرجوا منها، فيَشفع شفاعات متعددةٍ، وهذه الشفاعةُ يَشركه في جنسها الملائكةُ والأنبياءُ والمؤمنون، يَشفعون فيمن دخل النار أن يخرج منها، وهذه الشفاعةُ يُنكرها الخوارج والمعتزلة؛ لأنَّ أصل الخوارج والمعتزلة أنَّ مَن مات على شيءٍ من كبائر الذنوب من غير توبةٍ فإنه مخلَّدٌ في النار، فمن دخل النار لا يخرج منها[٣]، وهذا معنى قول المعتزلة في إنفاذ الوعيد الذي هو من أصولهم[٤]؛ فأهل السنَّة والجماعة يؤمنون بأنَّ أهل الكبائر لا يخلدون في النار ولو ماتوا من غير توبةٍ، بل يُعذَّبون فيها ما شاء الله، ثم يخرجون منها بمحض رحمته تعالى، أو بشفاعة الشافعين.

كذلك مما ثبت في الصحيح: أنه إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، أُتِي بالموت على هيئة كبشٍ فيدعى أهل الجنة وأهل النار، قال: فيرونه ويقال لهم: ما هذا؟ فيقولون: الموت، فيُذبح بين الجنة والنار، فيُقال لأهل الجنة: خلودٌ ولا موتٌ، ولأهل النار: خلودٌ ولا موت[٥].

---

(١) برقم (٦٥٣٥) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (١٩٦)، (١٩٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص١٥٥)، (ص٢٥٥).
(٤) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (ص١٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والله أعلم بكيفية ذلك وحقيقته، فيجب الإيمانُ بما أخبر الله به ورسوله على مراد الله ورسوله، ولا نتكلَّف ولا نقول: كيف يُذبح الموت؟ أو ما هذا الموت؟ أو الموتُ عَرَضٌ كيف يُذبح؟ أو المراد به ملَك الموت! فهذا كله من التكلُّف، ويكفي أن نؤمن بأنَّ الموت يُذبح بين الجنة والنار بمرأى من أهل الجنة والنار، وبهذا يأمنُ أهلُ الجنة من الخروج ويَيأسُ أهلُ النار من الخروج. وهذا من أدلَّة دوام الجنة والنار وخلودِ أهل الجنة والنار، والأدلةُ والآياتُ على دوامها كثيرةٌ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة]، وقال في أهل الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر]، وقال لكلٍّ منهما: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧، ١٦٩][(١)].

كذلك مما يجب الإيمان به، ويؤمن به أهل السنَّة والجماعة: حوض النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وهو موردٌ كريمٌ وحوضٌ عظيمٌ، جاء ذِكره وذِكرُ صفاته في السنَّة المتواترة[(٢)]، ومن ذلك أنَّ طوله شهرٌ وعرضه شهرٌ، وأنَّ كيزانه كعدد نجوم السماء، وأنه أشدُّ بياضًا من اللبن وأحلى من العسل.

وأخبر الرسول ﷺ أنه يتقدَّم أمَّته إلى الحوض إذ يقول للأنصار: «**إني فَرَطُكم على الحوض وإنَّ عرضَه كما بين أَيْلَة إلى الجُحْفَة، إني لست أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتَتِلوا**

(١) تنظر: (ص٨٨).

(٢) الأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جدًّا بلغت مبلغ التواتر، صرح بذلك جمع من الأئمة. ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٣٢١)، والشريعة للآجري (٣/ ١٢٥٣)، ونظم المتناثر (٣٠٥).

فتَهلِكوا كما هلَك مَن كان قبلكم»[(١)]. وقال: «**فإنَّكم سترون بعدي أَثَرَةً فاصبروا حتى تلقوني**»[(٢)].

ومما جاء في الحوض أنه تردُ عليه جماعات فيُذادُون -يعني: يُمنعون[(٣)]- ويحـالُ بينهم وبين الورُودِ فيقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إنهم مني**»، فيقال: «**إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»، فأقول: «**سحقًا سحقًا لمن غيَّر بعدي**»[(٤)].

فيجـب الإيمان بأنَّ لنبينـا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حوضًا مورودًا، ذلك الحوض الـذي يُظهر الله فيه فضلَ نبيِّه وكرامتَه على ربـه، وهو غياثٌ لهذه الأمة ممن استقام على سنَّته ﷺ[(٥)].

والكوثـر: نهـرٌ أعطاه الله لنبيِّه في الجنة، وهو مـن نعيم النبي في منزله ومنزلته في الجنة، وأمَّا الحوضُ ففي عرصات القيامة قبل دخول الجنة، وجاء في أحاديث الحوض أنه يَشخَبُ[(٦)] فيه ميزابان من الكوثر[(٧)]؛ إذن ماء الحوض أو شرابُ الحوض إنما يكون من الكوثر؛ فالحوض يمدُّه الكوثرُ، فماؤُه من ماء

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسـلم (٢٢٩٦-٣١) -واللفظ له- من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٦٣) من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٣-٦٥٨٤) -واللفظ له-، ومسـلم (٢٢٩١) من حديث أبي سعيد الخدري وسهل بن سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص١٥٢).

(٦) أي: يسـيل، وأصل الشَّـخْب: ما يخرج من تحت يد الحالب عند كل غَمْزَة وعَصْرَة لضرع الشاة. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٥٠).

(٧) أخرجه مسلم (٢٣٠٠)، (٢٣٠١) من حديث أبي ذر وثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

الكوثر، وكلٌّ من الأمرين داخلٌ في عموم قوله سبحانه ممتنًّا على نبيِّه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر][(١)].

كذلك مما يجب الإيمان به: **(الصراط)**، والمرادُ بالصراط جسرٌ ومَعبرٌ على متن جهنَّم يمرُّ عليه الناس على قَدر أعمالهم، جاء في الأحاديث الصحيحة أن الناسُ يمرُّون عليه مُتفاوتين في سيرهم، فمنهم مَن يمرُّ على الصراط كالبرق، ومنهم مَن يمرُّ كالريح، ومنهم مَن يمرُّ كأجاود الخيل وكركاب الإبل، ومن الناس مَن يسعى سعيًا، ومنهم مَن يمشي، ومنهم مَن يزحف، وبعض مَن يمرُّ عليه يقع في جهنم، وعلى الصراط كلاليبُ تخطف الناس بأعمالهم، فناجٍ مسلَّم ومكدوش[(٢)] في النار[(٣)].

والصراطُ قد أُشير إليه في القرآن في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ۝٧١﴾ [مريم]، فُسر بالعبور على الصراط، فيمرُّ عليه المتَّقون والظالمون فيُنجي الله المتقين ويتركُ الظالمين في جهنم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ۝٧٢﴾ [مريم]، والله أعلم[(٤)]، فالعبورُ على الصراط ليس لكلِّ أحدٍ؛ لأنَّ الكفار إذا حُشر الناس يُقال لهم بعد تقريعهم وحسابهم: لتَتْبع كلُّ أمةٍ ما كانت تعبدُ فيتبعُ كل أمةٍ ما كانت تعبدُ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٦٧٩).

(٢) واختلف في ضبط «**مَكْدُوش**»: فوقع في رواية مسلم بالمهملة «**مَكْدُوس**»، ورواه بعضهم بالمعجمة «**مكدوش**» كما في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٥)، وبعض نسخ صحيح مسلم، ومعناه: السَّوق الشديد. ينظر: جامع الأصول (١٠/ ٤٥٥)، وفتح الباري (١١/ ٤٥٤)، ولسان العرب (٦/ ١٩٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٩٤) وما بعدها، وزاد المسير (٣/ ١٤٣).

فتنتهي إلى النار فتدخلها[١]، ولكن الذين يَعبرون على الصراط منهم المنافقون، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]؛ لأنهم يكونون مع المؤمنين في بعض مواقف القيامة حتى يظنُّوا النَّجاة فيُعطَون أنوارًا لا تلبث أن تَنطفئ، ثم إذا انطفأ ما معهم من النور وبقيَ المؤمنون بأنوارهم تسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ يعني انتظرونا[٢] ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾ [الحديد][٣].

والمقصود أنه مما يجب الإيمان به مما يكون يوم القيامة الصراطُ، هذا الطريقُ الذي لا نعلم كيفيَّته وعليه الكلاليبُ، شبَّهها النبي ﷺ بشوكِ السعدان[٤]؛ وشوكُ السعدان يعرفه الناس، وهذا النباتُ السعدان له شوكٌ مدوّرٌ، فالشوكة الواحدة مدورةً ومحاطةً برؤوسٍ مدبَّبةٍ، ولكن هذا تقريبٌ وتصويرٌ كأنها تُشبهها في شكلها، وأمَّا عظمها فلا يعلمه إلا الله.

كذلك ممَّا يجب الإيمان به ويدخل في الإيمان باليوم الآخر: ميزان الأعمال، وهذا مما أخبر الله به في كتابه في مواضع؛ قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨١)، (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص٨١٣).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٢/ ٣٩٩)، وزاد المسير (٤/ ٢٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ [القارعة]، إلى غير ذلك من الآيات.

وهكذا السنَّةُ دلَّت على وزن الأعمال؛ قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في شأن ابن مسعود ودِقَّة ساقَيه: «**لهما أثقل في الميزان مِن أُحُدٍ**»[(١)]، وقال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»[(٢)]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرةٌ، فلهذا كان من عقيدة أهل السنَّة والجماعة الإيمان بوزن الأعمال.

قوله: (وخروجِ الدجالِ، والدابةِ، وطلوعِ الشمس من مغربها، ونزولِ عيسى بن مريم، يقتلُ الدجالَ ويكسرُ الصليبَ ويقتل الخنزيرَ): لما ذكر المؤلف أصول الإيمان، ومنها اليوم الآخر، ذكر جملة مما يدخل في الإيمان باليوم الآخر، وأعظم ذلك الجنة والنار، ومنها: الحوض لنبينا ﷺ والصراط والميزان، والشفاعة، وذبح الموت، ثم ذكر بعض أشراط الساعة الكبرى، وهي: الدجال[(٣)]، والدابة[(٤)]، وطلوع الشمس من مغربها[(٥)]، ونزول عيسى بن مريم، وأنه يكسر

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩٩١)، وصححه ابن حبان (٧٠٦٩)، والحاكم (٥٣٨٥)، وينظر: الصحيحة (٢٧٥٠)، (٣١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.

(٣) وأحاديث خروج الدجال متواترة. ينظر: البداية والنهاية (١٩/ ١٢٠)، (١٩/ ١٩٣)، ونظم المتناثر (٢٩٠)، وقصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للألباني.

(٤) ينظر: الإقناع في مسائل الإجماع (١/ ٥٠)، ونظم المتناثر (٢٩٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٣٥)، ومسلم (١٥٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ. وينظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢٥٥).

الصليب ويقتل الخنزير[١]، ويقتل المسيح الدجال[٢]، وكان المناسب أن يذكر أشراط الساعة قبل ذكر أمور الآخرة؛ لأن أشراط الساعة مقدمة للقيامة، وأشراط الساعة إذا وقعت فهي من أعلام النبوة لأن الرسول ﷺ أخبر بها فيجب الإيمان بكل ما أخبر به ﷺ.

قوله: (والبعثِ والنشور، والعرضِ والحسابِ، وعذابِ القبر ومُساءلةِ مُنكرٍ ونكيرٍ، والجنِّ والشياطين): أي: يجب أن نؤمن بالبعث والنشور، والكلامُ هنا ليس مرتَّبًا كما ينبغي؛ لأنه ينبغي أن يذكر أولًا الأمور المتقدِّمة؛ كفتنة القبر وعذاب القبر قبل ذكر البعث، وكذلك ذكر الصراط والميزان والعرض والحساب قبل ذكر الجنة والنار، هذا هو الترتيبُ المناسب المطابق للواقع، ومن غير المناسب ذكر الجن والشياطين في سياق أمور اليوم الآخر، ولكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ استطرد بذكر بعض الأمور الغيبية المعلومة بطريق السمع؛ فالجن والشياطين دل على وجودهم الكتاب والسنة وأجمع على ذلك أهل السنة وأهل الملل[٣]، وفي القرآن مِن ذِكر الجن والشياطين شيء كثير؛ فلذا ذكر المصنف وغيره وجوب الإيمان بوجودهم[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٣٧) من حديث النواس بن سمعان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وينظر: البداية والنهاية (١٩/ ٢١٧)، وقصة المسيح الدجال ونزول عيسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للألباني.

(٣) ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء، واليهود السامرة. ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل (٥/ ٩)، ومجموع الفتاوى (١٩/ ١٠)، (١٩/ ١٣)، وآكام المرجان في أحكام الجان (ص١٩).

(٤) سيأتي مزيد بيان في (ص١٠٣).

ولمَّا ذكر هذه الجملة من أشراط الساعة، ذكر أيضًا البعث، فيجب الإيمان بالبعث الذي هو إخراجُ الناس الأوَّلين والآخرين من قبورهم، فهذا ما كفَر به أعداءُ الرسُل أولهم وآخرهم، وأنكروه أشدَّ الإنكار وتعجَّبوا من هذا كثيرًا، فقال الكافرون: ﴿هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣﴾ [ق]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٞ ۝٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩﴾ [يس].

والكلامُ في البعث مفصَّلٌ في القرآن كثيرًا؛ قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ [المطففين]. وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيۡنَا ٱلۡمَصِيرُ ۝٤٣ يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗا﴾ [ق]؛ فالبعثُ يكون بتشقُّق الأرض عما في باطنها، فيخرجُ الناس من قبورهم سِراعًا، وعُبِّر عن هذا بالخروج: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ أي: القبور[1] ﴿كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ﴾ [القمر]، هذا وصفٌ لحال الكفار عند خروجهم، وإلا فالمؤمنون يخرجون والملائكة تبشِّرهم وتؤمِّنهم، وتتنزَّل عليهم بالبشائر؛ قال تعالى: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ﴾ [فصلت: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤﴾ [الانفطار]. أي: أُثيرت وتشققت[2]، ويخرجُ كلُّ ما في هذه الأرض من الأولين والآخرين، من أول نسمةٍ إلى آخر نسمةٍ يخرجهم الله؛

(١) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٣٦٦).
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن (ص١٣٣).

كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ۝٥٠﴾ [الواقعة].

ومما يجب الإيمان به أيضًا: عرض العبادِ على الله؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة]، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، والحساب يشملُ حساب العرض وحساب المناقشة.

ومن الحساب: وضع الموازين لإظهار أحوال العباد وأعمالهم؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء]، ومن الحساب: إيتاء الكتاب باليمين أو الشمال.

وكذلك يجب الإيمانُ بعذاب القبر، ونعيم القبر وفتنته، أمَّا فتنة القبر فهي سؤال منكرٍ ونكيرٍ[١] الملَكَين كما ثبت في السنة[٢] وقد أُشير إلى ذلك في القرآن[٣] في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم][٤]. وثبت في الصحيح أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**ولقد أُوحيَ إليَّ أنكم تفتنون في القبور مثل**

(١) سيأتي في كلام شيخنا قريبًا.
(٢) سؤال الملكين الميت في القبر، وعذاب القبر ونعيمه متواتر. ينظر: نظم المتناثر (١١١)، (١١٣).
(٣) تنظر بعض أدلة عذاب القبر من القرآن في: الروح لابن القيم (١/ ٢١٩-٢٢٢).
(٤) ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٣٣٧)، وزاد المسير (٤/ ٤٠).

أو قريبًا[١] **من فتنة الدجَّال**»[٢]، فيُقال للرجل: مَن ربك، وما دينك، ومَن نبيُّك؟ فأمَّا المؤمن والموقنُ فيقول: ربي اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيي محمد ﷺ، وأمَّا المنافق أو المرتاب فيقول: ها هــا لا أدري. فيُضرب بمِرْزَبَةٍ[٣] فيصيحُ صيحةً يسمعها كلُّ شيءٍ إلَّا الإنسانُ[٤] ولو سمعها الإنسانُ لصُعق.

وجاء في شأن فتنة القبر وعذابه أحاديثُ مستفيضةٌ عن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ منها حديــثُ البراء بن عازب؛ الحديث الطويل فــي صفة قبض روح المؤمن والكافر وسؤال القبر، وفيه: أنَّ المؤمن يُفتحُ له بابٌ إلى الجنة قال: «**فيأتيه من رَوحِهــا وطيبهــا**»، وأن الكافر يُفتحُ له بــابٌ إلى النار قــال: «**فيأتيه من حرِّها وســمُومها...**»[٥] الحديــث؛ فــدل هــذا الحديث علــى أن فتنــة القبر عامة للمؤمن والكافر.

---

(١) بالتنوين وهو رواية: الأصيلي، وابن عساكر، وأبي الوقت، و (عط)، وعليه صح، وجاء أيضًا بالتنوين في موضع آخر من البخاري (١٠٥٣)، وفي بعض النسخ: «**قريب**».

(٢) أخرجه البخاري (١٨٤) -واللفظ له-، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) المِرْزَبَة، بالتخفيف: المطرقة الكبيرة التي تكون للحدَّاد. لسان العرب (١/ ٤١٧).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٣٦٦٤)، والصغير (٤٩٥) من حديث البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو حديث صحيح كما سيأتي، وينظر: الصحيحة (٣٩٦٣).

(٥) أخرجه أحمد (١٨٥٣٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الحاكم (١٠٧)، (١١١)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٢٠)، (٤٤)، ونقل ابن القيم تصحيح أبي نعيم وأبي موسى الأصبهانيين. ينظر: تهذيب سنن أبي داود (٣/ ٣١٩-٣٢٥)، وأحكام الجنائز للألباني (ص١٩٨).

والإيمان بفتنة القبر وعـذاب القبر ونعيمه هو من الإيمان باليوم الآخر، وصـحَّ عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**نسَـمَة المؤمن طائر يَعلُق في شَـجَر الجنة**»[١]. وأرواحُ الشهداء في حواصل طيرٍ خضرٍ تسرحُ في الجنة[٢]. إلى غير ذلك.

وأكثرُ الأحاديث إنما فيها فتنةُ القبر وسـؤال الملكين، وجاءت تسـميةُ الملكين في روايةٍ عند الترمذي: أنهما منكرٌ ونكيرٌ[٣]، وبعض أهلُ السـنَّة يذكر هذا[٤]: أنه مما يجـب الإيمان به كما ذكر المصنف[٥]، وهذه أمورٌ غيبيةٌ يجب الإيمان بها، والإيمان النافع هو الإيمان بالغيب.

وعذاب القبر قد يُكشـف شـيءٌ منه لبعض الناس[٦]، والرسـول ﷺ قد كُشف له عذابُ صاحبَي القبرين كما في الصحيحين من حديث ابن عباس: أنَّ النبي ﷺ مرَّ بقبرين فقال: «**إنهما لَيُعذَّبان وما يُعذَّبان في كبيرٍ، أمَّا أحدُهما فكان لا يَسـتترُ من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشـي بالنميمة**»[٧]، وأنكرَ ذلك الزنادقةُ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٧٧٨)، والنسـائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه ابن حبان (٤٦٥٧)، وينظر: الصحيحة (٩٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٣) أخرجه الترمذي (١٠٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وقال: «حديث حسـن غريب»، وجوَّد إسناده الألباني في الصحيحة (١٣٩١).

(٤) سأل أحمد بن القاسم الإمام أحمد فقال: «قلتُ: يا أبا عبد الله تقر بمنكر ونكير، وما يُروى من عذاب القبر، فقال: نعم، سبحان الله! نقر بذلك ونقوله. قلتُ: هذه اللفظة: منكر ونكير. تقـول هذا أو تقول: ملكين؟ قال: نقول: منكـر ونكير، وهما ملكان وعذاب القبر». ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٣٥)، والشريعة للآجري (٣/ ١٢٨٨).

(٥) أخرجـه البخـاري (١٣٧٤) -واللفظ له-، ومسـلم (٢٨٧٠) من حديـث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) ينظر: الروح (١/ ١٩٢-٢٠٥).

(٧) أخرجه البخاري (٢١٨) -واللفظ له-، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

والمنافقون والملاحدةُ[١]، وبعضُ المعتزلة، أنكروا عذاب القبر ونعيمَه[٢]، ولا سيما الذين يقولون بأنَّ الروح عَرَضٌ، إذا مات الميتُ زال ذلك العرضُ وانعدم، فهناك لا يكون عذابٌ ولا نعيمٌ ولا سؤالٌ.

ولهذا قال ابن القيم في «القصيدة النونية»[٣]:

فالشأنُ للأرواح بعد فراقها
أبدانها واللهِ أعظم شان
إمَّا عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ
قد نُعِّمت بالروح والريحان
وتصير طيرًا سارحًا مع شكلها
تجني الثمارَ بجنَّة الحيوان
وتظلُّ واردةً لأنهارٍ بها
حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استُشهدوا
في جوف طيرٍ أخضر ريَّان
فلهم بذاك مزيةٌ في عيشهم
ونعيمهم للروح والأبدان

---

(١) ينظر: الروح (١/ ١٨١).

(٢) ينظر: الإبانة للأشعري (ص٦٠٤)، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٣٧٨)، وحكى القاضي عبد الجبار أن المعتزلة يثبتونه، وقال: «لا خلاف فيه بين الأمة، إلا شيئًا يُحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة؛ ولهذا ترى ابن الرواندي يشنع علينا، ويقول: إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به...». ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٠).

(٣) (١/ ٨١ رقم ١٢٧-١٣٧).

بذلوا الجسومَ لربهم فأعاضهم
أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهي
مأوى لها كمساكن الإنسان
فالروحُ بعد الموت أكمل حالة
منها بهذي الدار في جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذي
قد عاينت أبصارها بعيان
والقائلون بأنَّها عَرَضٌ أبوا
ذا كله تَبًّا لذي نكران

ويجب كذلك الإيمانُ بكلِّ ما أخبر الله به ورسوله ﷺ من الأمور الغائبة القريبة منَّا أو البعيدة. ومما دلت على وجوده النصوص: الجنّ والشياطين، والشياطين من الجن، فالجن منهم الشياطينُ وأصلُهم إبليسُ، كلُّ أولئك من عالم الغيب هم على هذه الأرض قريبون منَّا، يَظهر بعضهم لبعضِ الناس في بعض الأحيان، ولكن الأصل فيهم أنهم غائبون، ولا نعلم حقيقة خِلقتهم؛ لأنهم إنما يَظهرون لنا متمثِّلين، وقد يتمثَّلون ببعض الإنسِ وقد يتمثَّلون ببعض الحيوانات أو الحشرات، لكنهم موجودون وهم كثيرٌ، وهم مكلَّفون مخلوقون للعبادة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، ومنهم الصالحُ وغير الصالح، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾ [الجن]، ومنهم المؤمنُ والكافرُ، فالمؤمن منهم يدخل الجنة

على الصحيح[(١)]، والكافرُ في النار، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود]، وقال فيمن يدخل الجنة منهم: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾ [الرحمن]، والخطاب للثَّقلين باتِّفاق المفسِّرين إلى آخر سورة الرحمن.

وقال بعض الملاحدة وبعض المبتدعة من أهل الكلام: إنَّ الجنَّ ما هم بأشياء حقيقية، ولا قائمةٍ بأنفسها تتصرَّف وتذهبُ وتجيء وتتكلمُ، إنما هي قوى الشرّ في الإنسان، كما قالوا في الملائكة أنها قوى الخير، وهذا كفرٌ بالملائكة، وإنكارٌ لِمَا أخبر الله به من أمر الجنِّ والشياطين؛ لأنَّ معنى هذا أنهم ليس لهم حقيقةٌ وجوديَّةٌ في الخارج، إنما هم عبارةٌ عن القوى الخيِّرةِ أو الشريرةِ[(٢)].

فالجنُّ إذن؛ عالمٌ مكلَّفٌ، يأكلون ويشربون ويَتناكحون، وقد كتب الناس عنهم، وأُلِّفت مؤلفات[(٣)]، وذكر أهل العلم ما ذكروا، ورسالة محمد ﷺ رسالةٌ عامةٌ للثَّقلين، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ -أي جماعة من الجن- ﴿يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأحقاف].

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين (٢/ ٩١٠)، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص٢٣٧-٢٤٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٤٦)، (١٩/ ١٠)، وعالم الجن في ضوء الكتاب والسنة (ص١٠٨-١١٢).

(٣) منها: «آكام المرجان في أحكام الجان» لمحمد الشبلي، ومن مؤلفات المعاصرين: «عالم الجن والشياطين» لعمر سليمان الأشقر، و«عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة» لعبد الكريم نوفان عبيدات، وهي رسالة علمية أشرف عليها شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ.

فمن يقول: إنهم قوى، وأنهم ليس لهم وجودٌ مكذِّبٌ للقرآن، ومن أعظم الحجَج في إثبات وجودهم سورة الجن وأولها: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن].

قوله: (وأن لا يُخلَّد في النار مَن في قلبه مثقال حبَّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ): كذلك مما يجب اعتقاده أنه لا يُخلَّد في النار أحدٌ ممن في قلبه أدنى قَدْرٍ من الإيمان كما ثبت في السنَّة المتواترة[١]: «**يخرُج من النار مَن قال: لا إله إلَّا الله، وفي قلبه وزنُ شعيرة من خيرٍ، ويخرج من النار مَن قال: لا إله إلَّا الله، وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ من خيرٍ، ويخرُجُ من النار مَن قال: لا إله إلَّا الله وفي قلبه وزنُ ذَرَّةٍ من خير**»[٢] وفي حديث الشفاعة: «**مثقال بُرَّةٍ**» أو «**مثقال شعيرة**»[٣] كلُّ ذلك كناية عن القِلَّة.

فأهلُ السنَّة والجماعة يقولون: إنَّ مَن مات من العُصاة -يعني: من أهل الكبائر- مهما كانت ذنوبه، وهو موحِّد لله؛ فإنه لا يُخلَّد في النار؛ بل إمَّا أن يتجاوز الله عنه بما شاء من الأسباب، ولا يدخل النار، وإمَّا أن يدخله النار فيُعذَّب ما شاء الله ثم مآله إلى الخروج بشفاعة الشافعين من أهل طاعته أو بمحض رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فيخرج من النار كلُّ من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه أصلُ الإيمان ولو كان يسيرًا، المهمُّ أنه موحِّد، فلا يُخلَّد في

---

(١) ينظر: الفرقان بين الحق والبطلان (ص٢٤٦)، ونظم المتناثر (٣٠٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤) -واللفظ له-، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (١٣٥٩٠)، وابن ماجه (٤٣١٢) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان (٦٤٨٠)، وفي البخاري (٧٥١٠): «**مثقال ذرة**»، «**مثقال شعيرة**»، وفي مسلم (١٩٣-٣٢٦): «**مثقال حبة من بُرَّة أو شعيرة من إيمان**».

النار أحدٌ من أهل التوحيد، وكلّ ما جاء من الوعيد بالخلود في حقِّ بعض العصاة، فهو عند أهل السنة مُقيَّد.

مثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [النساء: ٩٣]، هذه الآية مقيَّدة باتِّفاق المسلمين بآيات التوبة، إلا ما جاء عن ابن عباس، أنَّ هذه الآية لم يَنسخها شيءٌ(١)، لكن نعلم يقينًا أنَّ ابن عباس لم يرد أنَّ القاتل إذا مات فإنه يموت مخلَّدًا في النار، لكن حُمِل على أنَّ توبته لا تسقط عنه التبعات؛ فالقتل له تبعاتٌ وتعلّقاتٌ(٢)، وكيف لا تقبل توبتُه مع أنَّ الشرك والكفر يقول الله في شأنه: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالى بعدما ذَكَرَ الشرك والقتل والزنا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

وذهبت الخوارج والمعتزلةُ إلى أنَّ مَن مات مُصرًّا على كبيرةٍ من كبائر الذنوب فإنه مُخلَّد في النار، فالخوارج قالوا بكفر مُرتكبِ الكبيرةِ وتخليده في النار إذا مات، والمعتزلة قالوا: إنه في الدنيا في منزلةٍ بين المنزلتين، لا هو مؤمنٌ ولا هو كافرٌ؛ يخرج من دائرة الإيمانِ، ولا يدخل إلى الكفر، وفي الآخرة

---

(١) أخرج البخاري (٤٧٦٣) -واللفظ له- ومسلم (٣٠٢٣) عن سعيد بن جبير قال: «سألت ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء:٩٣] قال: لا توبة له. وعن قوله -جل ذكره-: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان:٦٨] قال: كانت هذه في الجاهلية». وينظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٤٢-٣٥٠)، والناسخ والمنسوخ للنحَّاس (ص٣٤٤).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٦٠٩).

هو مخلَّدٌ في النار، فهذا أصلٌ من أصولهم[١]، وهذا من أبطل الباطل، وهو مردودٌ بالأدلة الصحيحة الدالَّة على الشفاعة في أهل الكبائر، وإخراجُهم من النار، وأنهم يخرجون منهما حُمَمًا[٢]، فيُلقَون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبتُ الحِبَّة في حميل السَّيل[٣] ثم يدخلون الجنة[٤]،[٥].

ويلاحظُ أنَّ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدخل بعض هذه الأمور من مسائل الاعتقاد بغير ترتيبٍ؛ فمسألة الإيمان بالجنِّ هي من فروع الإيمان بالكتب والرسل، كذلك الإيمان بأشراط الساعة هي من توابع الإيمان باليوم الآخر.

◆◈◈◈◆

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة (ص٦٩٥).

(٢) مِنَ الحُمَمَة وهي الفَحْمَة، وجَمْعُها حُمَمٌ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٤).

(٣) وهو ما يجيء به السيل من طين أو غثاء وغيره، فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حِبَّة واستقرت على شطِّ مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبَّه بها سرعة عَود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد إحراق النار لها. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٤٢).

(٤) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٥) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٢٥٢).



الإيمان بالقدر



ويجب الإيمان بالقدر خيره وشرَّه من الله تعالى.

ويجب أن نعتقد أنَّ الإيمان الشـرعي قول وعمل ونيَّة، ولا يكون مؤمنًا إلَّا بمجمـوع هذه الخصال كلِّها مع ترك النواهـي، وأنَّ الإيمان يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي.

ويخرجُ الرجل بفعل الكبيرة من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام بشـيءٍ إلَّا بالشـرك بالله تعالى، والمؤمن مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، لا نكفِّـر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ، فـإن تاب تاب الله عليه، وإن مات من غير توبةٍ فأَمرُه إلى الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له.

ولا نقطع لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ بعد النبي ﷺ، ومَن شـهدَ له النبي ﷺ بالجنة فهو من أهل الجنة، يجب التصديق به.

والاستثناء مشروعٌ في الإيمان؛ وهو أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وليس بشكٍّ في إيمانه، وإنَّما هو استثناءُ خوفٍ وإشفاقٍ.

الشرح

قوله: (ويجب الإيمان بالقدر خيره وشرَّه من الله تعالى): هذا هو الأصل السادس من أصول الإيمان التي نصَّ عليها الرسول ﷺ في جوابه لجبريل لما سأله عن الإيمان قال في آخره: «**وتؤمنَ بالقدر خيره وشره**»[(١)].

والقدر يُطلق ويرادُ به الشيء المقدَّرُ، فتقول في أمرٍ حدث: هذا قدرٌ، قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل، تشيرُ إلى الأمر المقدَّر: حادث أو غيره. ويُطلَق اسمُ القدر على تقدير مقادير الأشياء خيرِها وشرِّها؛ فالأمورُ المقدرة فيها خيرٌ وشرٌّ، فالله هو خالقُ كلِّ شيءٍ: الخير والشر، والنفع والضرر، وكلّ الأمور هذه قد سبق بها عِلم الله وكتابُه، بما في ذلك أعمال العباد: طاعتهم، ومعاصيهم، وأمَّا القدر بمعنى التقدير الذي هو حكم الله وقضاؤه بما يكون وبما سيكون، وحكمُه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما سيكون وتكوينه في ميعاده هذا كله خيرٌ؛ لأنَّ أفعال الله قائمةٌ على الخير والعدل والحكمة والرحمة، فليس في أفعال الله شرٌّ[(٢)]، وهكذا قل في لفظ القضاء؛ فالقضاء يطلقُ على الشيء المقضي ويطلقُ على الحكم من الله، فحكم الله عدلٌ، وحكم الله ماضٍ كما في حديث دعاء العبد: «**ماضٍ فيَّ حُكمُك، عدلٌ فيَّ قضاؤك**»[(٣)]، فقضاء الله كلُّه عدلٌ، وتقديره كلُّه حقٌّ، أمَّا الأمور المقدَّرةُ ففيها الخيرُ والشرُّ، فخلق الله لكلِّ المخلوقات خيرها وشرها،

---

(١) أخرجه مسلم (٨-١) -بهذا اللفظ- من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٢٤٥).

(٣) أخرجه أحمد (٣٧١٢)، وأبو يعلى (٥٢٩٧)، -وعنه ابن حبان (٩٧٢) -، والحاكم (١٨٧٧)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٤/ ١٠٠)، وينظر: الصحيحة (١٩٩).

وتقديرُه لها وقضاؤه وحكمُــه بوجودها هذا هو موجب حكمة الله، لكن هذه المخلوقات فيها الخير والشر.

فإذا قلنا مثلًا: الله هو خالق الملائكة، وخالق الشياطين، وهو خالق بهيمة الأنعــام، وخالــق الذئاب والسِّــباع والحيات والعقــارب، فخلــقُ اللهِ لهذه المخلوقــات هو خير وحكمة وعــدل، له الحكمة البالغة فــي خلقه وتقديره وتدبيره وله الحمد على كلِّ ذلك.

أمَّا هذه المخلوقات ففيها النافع والضارُّ، والخير والشر، لكن لا يلزم من كونها يتضرَّر بها بعض الناس أن يكون إيجادها شــرًّا، فإنَّ إيجادها له حكمةٌ، فاقتضــت حكمة الله خلق هذا الوجــود لِمَا فيه من متضادات، وهذا يدلُّ على كمــال قدرته، فهو خالق الســموات والأرض، وخالقُ الليــل والنهار، وخالقُ الملائكة والشياطين، وخالقُ بهيمة الأنعام وسائر المؤذيات، ولهذا فمن أسماء اللــه النافع الضار[1]، فلا نقول: الله الضــارُّ، وإن كان ما يحصل من الضرِّ هو بتقديــره، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النســاء: ٧٨]، الــكلُّ بتقدير الله ومشــيئته، فالحســنات التــي هي النِّعم، والسيئات التي هي المصائب كلُّها بتقديره سبحانه.

(١) ورد هذا في حديث ســرد الأسماء الحســنى، وقد تقدَّم تخريجه في (ص٤٨)، وذكر هذا الاســم الخطابي والحليمي في جمعهما. ينظر: شأن الدعاء (ص٩٤)، والمنهاج في شعب الإيمان (١/ ٢٠٥)، وبدائع الفوائد (١/ ٢٩٤).

والإيمانُ بالقدر له أربعُ مراتب[١]:

الأولى: الإيمانُ بعلم الله السابق القديم، فيجب الإيمانُ بأنَّ الله عَلِمَ ما يكون قبل أن يكون بعلمه القديم الذي ليس له بدايةٌ، وأنه تعالى قد عَلِمَ ما العباد عاملون قبل أن يخلقهم.

الثانية: الإيمانُ بأنه كتب ذلك في أمِّ الكتاب وهو اللوح المحفوظ، فكتب ذلك وقدَّره، ويدل للمرتبتين قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج] فهذا كله داخل في القدر خيره وشره.

الثالثة: الإيمانُ بعموم مشيئة الله، وأنَّ كل ما يكون في هذا الوجود فبمشيئة الله، فلا يكون في الوجود في السموات ولا في الأرض، ولا يكون في الوجود شيءٌ من حركة ولا سكون ولا صغير ولا كبير إلا بمشيئته، فتصوَّر كل حركات الأفلاك وما دونها من الكواكب، والشمس والقمر، وحركات الملائكة والجن والإنس، وحركات الرياح والأشجار وسكونها هو بمشيئة الله! قال تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣].

---

(١) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص١٩٢)، وشفاء العليل (١/ ١٠٠) وما بعدها.

الرابعة: الإيمان بعموم خلق الله، فكلُّ ما في الوجود مخلوقٌ لله، من الذوات والصفات والأفعال؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾ [الزمر].

والجاحدون لوجود الله أنكروا أن يكون لهذا العالم خالقٌ، وآخرون أثبتوا خالقًا لكن جعلوا بعض المخلوقات تستقلُّ بالخلق؛ كبعض مَن ينسب بعض المخلوقات إلى الكواكب.

ومن هذا الجنس: القدرية النُّفاة الذين زعموا أنَّ العباد هم الخالقون لأفعالهم، وأنهم يفعلون ما يفعلون من الطاعات والمعاصي بمحض قدرتهم ومشيئتهم، لا تعلُّق لمشيئة الله وقدرته بها، فهذه كلُّها مذاهب باطلةٌ، فالله تعالى يقول: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير]، فتضمنت الآيةُ الرد على الجبرية والقدرية، فأثبت الله تعالى للعباد مشيئةً، ولكن مشيئتهم مرتبطةٌ ومقيدةٌ بمشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير].

إذن: لا يكفي الإيمانُ بالقدر إجمالًا، بل لا بد من الإيمان بالمراتب الأربع.

والمنكرون للقدر طائفتان:

غلاةٌ أنكروا القدر بكلِّ مراتبه؛ فأنكروا العلم، والكتابة، والمشيئة، وخَلْقَ أفعال العباد.

والمتوسطون منهم -كالمعتزلة- أنكروا المرتبتين الأخيرتين؛ فالقدريةُ النفاةُ متَّفقون على نفي عموم المشيئة وعموم الخلق، والغلاةُ منهم -وهم قدماؤهم- ينفون عِلم الله بما يكون وكتابته للمقادير؛ ولهذا يقول شيخ الإسلام

في «العقيدة الواسطية»[١]: إنَّ مُنكِر المرتبتين الأوليين في المتقدمين كثيرٌ وهم اليوم قليلٌ، يعني العلم القديم وكتابة المقادير.

وتضمنت الآية الردَّ على الجبرية، ومنهم الأشاعرة في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير]، والرد على القدرية في قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير].

قوله: (ويجب أن نعتقد أنَّ الإيمان الشرعي قول وعمل ونيَّة، ولا يكون مؤمنًا إلَّا بمجموع هذه الخصال كلِّها مع ترك النواهي، وأنَّ الإيمان يزيدُ وينقص؛ فزيادته بالطاعات، ونقصانه بالمعاصي): أي: يجب أن نعلم علمًا يقينيًّا بأنَّ الإيمان قول وعمل ونية؛ قول اللسان وعملُ الجوارح ونيةُ القلب؛ لأنَّ النية للقلب، والنيةُ هي: القصدُ والإرادة، وهذه إحدى العبارات التي يبيِّن بها أهل السنَّة حقيقة الإيمان أو ما يشمله اسم الإيمان فيقولون: الإيمان قول وعمل ونية[٢]، أو يقولون: اعتقاد وقول وعمل، أو كما يقول كثيرٌ منهم: الإيمان قول وعمل[٣]، وإذا قالوا: قول وعمل، فإنهم يريدون بالقول: اعتقاد القلب، وإقرار اللسان، وبالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح[٤]، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: من أصول أهل السنَّة: أنَّ الإيمان قول وعمل، قولُ القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح[٥].

---

(١) الواسطية بشرح شيخنا (ص١٩٣).

(٢) وهو تعبير سفيان الثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٧٠ رقم ٣١٤)، (٥/ ٩٥٦ رقم ١٥٩٣)، (٥/ ١٠٥٧ رقم ١٧٩٨).

(٣) ينظر: الشريعة (٢/ ٦١١)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩١١).

(٤) ينظر: جواب في الإيمان ونواقضه لشيخنا (ص٧-١٣).

(٥) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص٢٠٢).

وهذه المسألة كبيرةٌ، عظم فيها الخطب واتسع فيها الكلام والخلاف؛ فأهل السنَّة والجماعة على أنَّ الإيمان في الشرع كما يقول المؤلف (**قول وعمل ونيَّة**)، وقوله: والإيمان الشرعي احترازًا من الإيمان اللغوي، والإيمان اللغوي أكثر الناس يفسره بالتصديق؛ فيقولون: الإيمانُ لغةً هو التصديقُ، هذا هو التفسير الجاري[١].

ولكن شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول[٢]: لا يصح هذا الإطلاقُ، أن يقال: إنَّ الإيمان في اللغة هو التصديقُ؛ بل هو تصديق خاص، وهو تصديق بأمر غيبيٍّ يؤتمَن عليه المخبِر بخلاف الإخبار بالأمور الحسية التي يمكن أن يشترك في الوقوف عليها الناسُ؛ مثل طلوع الشمس، تقول لمن أخبر بطلوع الشمس: صدَّقته، ومَن أخبر بأمرٍ غائبٍ: آمنت له، كما قال إخوةُ يوسف: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧].

فالمؤلف يقول: (الإيمانُ الشرعي قول وعمل ونية)، والأدلة على هذا ظاهرةٌ، قال سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٤]، فالإيمانُ يكون في القلب اعتقادًا وعملًا. ثم قال تعالى بعدها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ [الحجرات: ١٥]، فنفى الشك، وهذا الشك في القلب، والطهارة من الرَّيب أو الارتياب أيضًا في القلب، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات].

---

(١) وهذا أشهر معانيه اللغوية. ينظر: لسان العرب (١٣/ ٢٣).

(٢) ينظر: الإيمان (ص ١٠١)، (ص ٢٢٦) وما بعدها.

وقال ﷺ: «**الإيمان بضعٌ وسبعون أو بضعٌ وستون شعبةً فأفضلُها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبةٌ من الإيمان**»(١)، هذا أدلُّ دليلٍ وأظهر دليلٍ على أنَّ اسم الإيمان شاملٌ لكلِّ أمور الدين الظاهرة والباطنة.

إذن: الخوف من الله هو إيمانٌ، والتوكل عليه إيمانٌ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة]، وكذلك الأعمال الظاهرة: الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وإعطاء الخمُس كما في حديث وَفْدِ عبد القَيس «أمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: **أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس**»(٢).

إذن: فبرُّ الوالدين من الإيمان، وصلةُ الأرحام من الإيمان، والجهادُ في سبيل الله من الإيمان.

وخالف في هذا الأصل المرجئةُ، فالمرجئة بكلِّ طوائفهم يتَّفقون على إخراج الأعمال عن مسمَّى الإيمان، فأمَّا مَن يُقال لهم مرجئةُ الفقهاء، فإنَّ اسم الإيمان عندهم هو تصديق القلب وإقرار اللسان، وليس من الإيمان أعمال القلوب، وأعمالُ الجوارح فلا تدخل في مسمَّى الإيمان عندهم وإن كانت واجبةً، يعني: ما أمر الله به وفرضه فهو واجبٌ، وتارك الواجب مستحقٌّ

(١) أخرجه البخاري (٩)، مسلم (٣٥-٥٨) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٣) -واللفظ له-، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

للعقاب، لكن اسم الإيمان مختصٌّ بتصديق القلب، فالتفاضل عندهم إنما هو في أعمال القلوب؛ كالخشية والتقوى ومخالفة الهوى كما يقول الطحاوي: «وأهله في أصله» يعني أهلُ الإيمان في أصله سواء، وإنما يتفاضلون في الخشية والتقى ومخالفة الهوى[١]، وقولهم هذا قد أنكره أئمة السنَّة إنكارًا شديدًا[٢]، فإنه ينبني عليه أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص وهم يقولون بذلك[٣]، وينبني عليه كذلك أنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان؛ فلا يجوز للإنسان أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، هذا من فروع هذا المذهب[٤]، وعلى هذا؛ فإيمانُ أكمل الناس وأفسقِ الناس من المسلمين سواء، فالتفاضل إنما هو في الأعمال؛ كخشية الله وتقواه ومراقبته، وفي الأعمال الظاهرة، أمَّا الإيمان فأهله فيه أو في أصله -كما قال الطحاوي- سواء.

وهذا قولٌ باطلٌ مردودٌ بالأدلة الدالة على أنَّ اسم الإيمان يشمل الأعمال، كما تقدَّم في حديث وفد عبد القَيس، وحديث أبي هريرة في شعب الإيمان[٥] وغير ذلك كثيرٌ، ومردودٌ بالأدلة الدالة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص، قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران].

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لشيخنا (ص٢٣٤).

(٢) وألَّفوا في ذلك كتبًا مفردة منها: «الإيمان» لأبي عُبيد القاسم بن سلَّام، و«الإيمان» لأبي بكر بن أبي شيبة، و«الإيمان» لابن منده وغيرها.

(٣) ينظر: الإبانة الكبرى (٢/ ٨٣٢)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٦٠).

(٤) سيأتي مزيد بيان في (ص١٣٠).

(٥) تقدما قريبًا.

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال]، وقال ﷺ: «**أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**»[(١)]؛ فالمؤمنون متفاضلون، ومن أعظم الأدلة على التفاضل في الإيمان حديثُ الشفاعة، وفيه أن نفس العصاة الإيمان الذي في قلوبهم يتفاوت، قال ﷺ: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[(٢)]، فهذا نصٌّ صريحٌ بتفاضل الإيمان الذي في القلب، فهل يجوز أن يُقال: إنَّ إيمان الناس كإيمان جبريل وميكائيل وإيمانِ الأنبياء!

وهناك أقوالٌ للمرجئة[(٣)] سوى هذا، وهي أقوال باطلةٌ؛ كقول الكرَّامية: إنَّ الإيمان مجرَّد التصديق باللسان، فالمنافق عندهم مؤمنٌ وإن كان مُخلَّدًا في النار، وهذا باطلٌ؛ لأنَّ المنافق ليس مؤمنًا إلَّا في الظاهر، وإلَّا في الحقيقة أنه كافرٌ وليس بمؤمنٍ، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة].

كذلك قول الجهمية: إنَّ الإيمان هو مجرَّد معرفة الخالق، فالإقرارُ بوجود الخالق هذا هو الإيمانُ، فمن كان عارفًا بوجوده أو مقرًّا بوجوده، فهو مؤمنٌ،

---

(١) أخرجه أحمد (٧٤٠٢)، (١٠١٠٦)، وأبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٤٧٩)، والحاكم (٢)، وينظر: الصحيحة (٢٨٤)، (١٥٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤) -واللفظ له-، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤)، والإيمان لابن تيمية (ص١٥٥-١٥٦).

وهـذا هو أبطـلُ وأخبثُ أقوال المرجئة، فإنَّ هذا يقتضـي أنَّ أمم الكفر كلهم مؤمنون؛ كعاد وثمود لأنهم يعرفون الخالق[١].

ولا يكون الإنسان مؤمنًا إلا باجتماع هذه الخصال كلِّها:

اعتقاد القلب: وهو الإيمان بأصول الإيمان السـتة المتقدمة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

ولا بد من إقرار اللسان؛ فإنَّ مَن صدَّق بقلبه ولم يقرّ بلسانه يكون كافرًا، فيكون من جنس الذين قال الله فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام].

ولا بـد من عمـلٍ، أي: عمل القلب، وأصله الانقيـاد، ولا بد من أصل المحبة لله ورسوله ﷺ ولدينه، وأصل الخوف من الله؛ فمن خلا قلبُه من حب الله ورسـوله ﷺ بحيث يكون الرسول كغيره من الناس فليس بمؤمنٍ -فكيف إذا كان يبغضه نسأل الله العافية-، وقد يصدِّق أنه رسول ولكن يبغضه.

فلا يكون الإنسـان مؤمنًـا إلا أن تجتمع له هذه الأمـور، وإن كان فيها التفاضل العظيم، ولا يكون الإنسـان مؤمنًا بمجرد التصديق بالقلب أو بمجرد التصديـق باللسـان حتى يَنضاف إلى ذلـك عملُ القلـب، وإذا انتفت أعمالُ الجوارح كلُّها لا صلاة ولا زكاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد ولا تحليل حلال ولا تحريم حرام؛ فهذا لا يكاد يكون صادقًا أو لا يكون مصدِّقًا.

(١) ينظر: توضيح المقصود من حائية ابن أبي داود لشيخنا (ص١٤٣-١٤٥).



ومن المقرَّر أنَّ من نواقض الإيمان الإعراض عن دين الإسلام إعراضًا كليًّا حتى لو تسمَّى الإنسان بالإسلام ونطق بالشهادتين لكنه معرضٌ[١]؛ فإنه لا يكون لهذه الشهادة دلالةٌ ولا حقيقةٌ عمليةٌ، ولا بد من ترك المناهي، وتركها من جملة الأعمال، والترك المقصود هو فِعلٌ، والمراد به الصادر عن قصدٍ لكفِّ النفس، هذا هو المقرَّر في أصول الفقه[٢]، فترك المنهيات قصدًا هذا واجبٌ، فيجب ترك الزنا وشرب الخمر، وترك الربا، لا بد لتكميل الإيمان من ترك المنهيات.

والإيمان -تقدَّمت الإشارة إليه- أنه يزيد وينقص[٣]، والأدلةُ على هذا في الكتاب والسنَّة كثيرةٌ، يزيدُ بفعل الطاعات؛ فمن كان أكثر صلاةً وأكثر صيامًا وأكثر جهادًا وأكثر أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر كان أكثر إيمانًا ممن دونه فهذا أمرٌ ظاهرٌ، وينقصُ بالمعاصي؛ فمن كان أكثر استقامةً وتركًا للمحرمات كان أكثر إيمانًا، ومَن كان أجرأ على المعاصي كان دون ذلك وأنقص إيمانًا.

ثم إنَّ نفس الإيمان الذي في القلب وهو التصديق يتفاوت فليس التصديق على مرتبةٍ واحدةٍ، وكذلك اليقين يتفاوت، فهناك علم اليقين وعين اليقين، وحقُّ اليقين، وهل التصديق بالأمر المشاهد المحسوس الذي تراه بعينك وتسمعه بأذنك وتلمسه، أفيكون كالتصديق بما أخبرك به أحد العدول؟! لا يستويان. والتصديق قد يكون بدرجةِ الظنِّ القويِّ الغالب، أو بدرجة العلم اليقين؛ فهو يتفاوت بحسب الموجبات للتصديق، فما يفيده الخبرُ المتواترُ

---

(١) ينظر: شرح نواقض الإسلام لشيخنا (ص٣٩).

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/ ١٤٧)، ومذكرة أصول الفقه على روضة الناظر (ص٥٤).

(٣) تنظر: (ص١١٦).

ليس كالذي يفيده خبر الواحد، فالمقصود أنَّ التصديق نفسه يتفاوت بحسب مصادر العلم، ففرقٌ بين المحسوس وغير المحسوس أو المعقول، فهناك علمٌ ضروريٌّ وهناك علمٌ نظريٌّ.

قوله: (ويخرجُ الرجل بفعل الكبيرة من الإيمان إلى الإسلام ...) إلى آخره: يخرج الرجل والمرأة كذلك، فالمراد الشخص رجلًا كان أو امرأةً، بفعل الكبيرة من اسم الإيمان المطلق إلى اسم الإسلام، فالعاصي الظاهر المعصية يقال له مسلمٌ، ولا يقال: أنه مؤمنٌ، وفي الصحيح من حديث سعد بن أبي وقاص أنَّ رسول الله ﷺ أعطى رَهطًا وسعدٌ جالسٌ، قال: فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إليَّ، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إنِّي لأراه مؤمنًا، فقال: «**أو مسلمًا**» فسكتُّ قليلًا ثم غلبني ما أعلم منه، فعدتُ لمقالتي. فقلت: ما لك عن فلان؟ فوالله إنِّي لأراه مؤمنًا، فقال: «**أو مسلمًا**...»[(١)].

فيخرج الرجلُ بفعل الكبيرة عن اسم الإيمان المطلق، عن أن يسمَّى مؤمنًا إلى أن يسمَّى مسلمًا، ولكن إذا وُصف بإيمان فإنه يوصف بتقييدٍ، فيقال: هو مؤمنٌ بما معه من الإيمان، وهو فاسقٌ بما معه من المعصية والكبيرة، أو تقول: إنه مؤمنٌ ناقص الإيمان.

يقول الإمام ابن تيمية[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يُعطى الاسم المطلق، فيقال: إنه مؤمنٌ، ولا يسلبُ مطلق الاسم فيقال: إنه ليس بمؤمن، فلا يجوز أن يقال للعاصي: ليس بمؤمنٍ؛ لأنَّ هذا نفيٌ لأصل الإيمان عنه؛ بل يقال: مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، أو يقال: مؤمنٌ ناقص الإيمان؛ وهذا هو موجب العدل في

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧) -واللفظ له-، ومسلم (١٥٠).

(٢) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص٢٠٢).

الحكم، فلا يسوَّى بين الكافر بالله ورسوله ﷺ، وبين المؤمن بالله ورسوله الذي قد اقترف بعض المعاصي كما فعل الخوارج؛ فإنَّهم يكفِّرون بالذنوب أهل المعاصي.

فلا يُعطى هذا العاصي صاحبُ الكبيرة الاسم المطلق، ولا يُسلَبُ مُطلَق الاسم، وبما أنَّ اسم الإسلام أعمُّ وأوسع؛ يُعطى اسم الإسلام، ويقال: إنه مسلمٌ، وهذا مسلمٌ بدون تقييدٍ، لأن دائرة الإسلام أوسع، ولهذا يقال: كلُّ مؤمنٍ مسلمٌ، وليس كلُّ مسلمٍ مؤمنًا[١]، يعني بالمعنى الخاص، وإن كان اسم الإيمان قد يُذكر مرادًا به مطلق الإيمان كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فالمراد مُطلق الإيمان، فإنه ليس من شرط ما يُجزئ في العتق كمال الإيمان، ولهذا حصر اللهُ الإيمان الحق بمَن تحقَّقَ بهذه الصفات: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال]... إلى آخر الآيات.

قوله: (ولا يخرج من الإسلام بشيءٍ إلَّا بالشرك بالله تعالى): لا يخرج من الإسلام إلى الكفر، فالخروج عن الإسلام رِدَّةٌ إلى الكفر، لأنه تركٌ لدين الله، قال ﷺ: «**لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلَّا بإحدى ثلاث: الثَّيِّبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه المفارق للجماعة**»[٢]، وفي الحديث الصحيح: «**مَن بدَّل دينه فاقتلوه**»[٣]، المراد: اقتلوه رِدَّةً، فهو مرتدٌّ عن دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ

---

(١) سيأتي قريبًا مزيد بيان.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦-٢٥) -واللفظ له- من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ [البقرة]، ولا يخرج عن الإسلام إلا بالشرك، وما في حكمه من أنواع الكفر؛ كالتكذيب بالرسول، والتكذيب باليوم الآخر، والتكذيب بالملائكة أو غيرها من أصول الدين، أو الشكِّ في شيء من ذلك، وكذلك ترك الصلاة على القول بأنه كفر أكبر، وهو الصحيح فيمن يتركها دائمًا(١)؛ فإنَّ ترك الصلاة موضع خلافٍ بين أهل السنَّة أنفسهم(٢)، وما قاله المؤلف يجري على مذهب الجمهور أنَّ ترك الصلاة ليس بكفرٍ(٣)، ولا يوجب الخروج عن ملَّة الإسلام، وإنما هو كفرٌ دون كفرٍ، والذين قالوا بأنَّ ترك الصلاة كفرٌ يقولون: أنه بدرجة الشرك، فهو ردةٌ عن الإسلام، ولهذا يُسوُّون بين تارك الصلاة وبين المكذب للرسول ﷺ من حيث الحكم عليه بالكفر، وأنه مرتدٌّ خارج عن ملَّة الإسلام، يُعامل معاملة المرتدِّ حلال الدم، فيُقتل ردَّةً وكفرًا لا حدًّا، فعُلم أنَّ ترك الصلاة فيه قولان مشهوران لأهل السنَّة، وإن حُكي إجماع الصحابة على كُفر تارك الصلاة(٤)، لكن مع ذلك لم يتفق أهل السنَّة على كفر

---

(١) وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. تنظر: مسائل أهل الرَّحبة ضمن: مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٩)، وجامع المسائل (٧/ ١١٩).

(٢) ينظر الخلاف ومناقشة الأدلة في: كتاب الصلاة لابن القيم (ص٤٠-١٠٧).

(٣) وهو من الشافعية الذين لا يرون كفر تارك الصلاة تكاسلاً، وهو المنصوص عليه والمشهور في مذهب الشافعية، قال النووي: «وهو الصحيح المنصوص الذي قطع به الجمهور...» وقال: «فمذهبنا المشهور ما سبق أنه يقتل حدًّا ولا يكفر». ينظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ١٤)، (٣/ ١٦)، والمغني (٣/ ٣٥١).

(٤) مراد شيخنا حَفِظَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه الترمذي (٢٦٢٢) عن عبد الله بن شقيق العقيلي قال: «كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كُفر غير الصلاة». وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٦٧ رقم ٥٦٥)، وينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٩٢-٩٠٥).

تارك الصلاة، بل اختلفوا، ولكلٍّ من الفريقين حججٌ وأدلَّة، وهي مسألةٌ كبيرةٌ -نسأل الله السلامة والعافية-، فعُلم أنَّ ترك الصلاة ذنبٌ عظيمٌ، حتى ولو قيل: إنَّ تركها ليس بكفرٍ، فهذا لا يهوّن الأمر، وبعض الناس يتسلى بالخلاف؛ ليهون من أمر ترك الصلاة، ويقول: ترك الصلاة ليس بكفرٍ، وهذا استخفافٌ بخطورة الأمر، وبالأدلة الدالة على كفر تارك الصلاة من آيات وأحاديث.

ومن المسائل المتعلقة بالإيمان: مسألة الفرق بين الإسلام والإيمان، فقد اختلف أهل السنَّة في الفرق بينهما[١]: فمنهم مَن قال: هما اسمان لمسمى واحد[٢]، والإسلامُ يعني الإسلام الحقُّ، الذي أمر الله به، والذي يوجب النجاة من النار، والإيمان كذلك فهما شيءٌ واحدٌ.

وجمهور أهل السنَّة على أنَّ الإيمان والإسلام مختلفان متغايران، منهم مَن يقول: الإيمان في القلب، وهو اعتقاد القلب وعمله، والإسلامُ هو أعمال الجوارح، وكل من القولين تَرِدُ عليه بعض الإشكالات، ومن أسباب هذا الخلاف أننا نجد أنَّ الرسول ﷺ في حديث جبريل[٣] فسَّر الإسلام بمبانيه الخمسة، وفسَّر الإيمان بأصوله الستة، وفي حديث وفد عبد القيس[٤] فسَّر الإيمان بأمورٍ خمسةٍ من الأعمال: الشهادتان وما بعدها، ومن أدلة الفرق ما

(١) ينظر الخلاف في: السنة للخلَّال (٣/ ٦٠٢)، وتعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٠٦).

(٢) ومنهم: البخاري ومحمد بن نصر وابن عبد البر. ينظر: فتح الباري لابن رجب (١/ ١٢٥-١٢٧)، وتعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٢٩)، والتمهيد (٩/ ٢٤٧-٢٥١).

(٣) أخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأخرجه مختصرًا: البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، (١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٥٣)، (٧٥٥٦)، ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تقدَّم من جواب النبي ﷺ لسعد لما قال في رجل: إني لأراه مؤمنًا، قال: «**أو مسلمًا**»[(١)] ثلاث مرات، فهذا صريح في الفرق بين الإسلام والإيمان.

ولكن الصواب الذي تجتمع فيه الأدلَّة، أنَّ الإيمان والإسلام اسمان من الأسماء الشرعية يتَّحد مسمَّاهما إذا أُفردا -يعني إذا ذُكر كلٌّ منهما بمفرده-، ويختلف معناهما إذا جُمعا في سياقٍ واحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، فلا بد من الفرق، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾: يراد بهذا الاستسلام الظاهر وفعل مباني الإسلام الخمسة، والإيمانُ المراد به الإيمان الباطن واعتقادُ الإيمان بالله وملائكته وكُتبه ورسُله واليوم الآخر؛ كما فصل النبي ﷺ بينهما في حديث جبريل. فيقال: إنهما إذا اجتمعا افترقا؛ أي: إذا اقترنا اختلف معناهما، وإذا افترقا اجتمعا؛ أي: إذا أُفرد كل منهما اجتمعا؛ أي: اتحد معناهما[(٢)]، فهذا المنهجُ يمكن تطبيقه في أسماءٍ كثيرةٍ؛ كالبر والتقوى والفقير والمسكين؛ فالبرُّ والتقوى إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وكذلك الفقير والمسكين، وهذا يظهر لمن تدبَّر ذكر هذه الأسماء في القرآن.

قوله: (والمؤمن مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته): يريد أن مرتكب الكبيرة لا يعطى اسم الإيمان المطلق؛ فيقال: هو مؤمن، ولا يسلب مطلق الاسم؛ فيقال: ليس بمؤمن، كما تقول المعتزلة بل يقال: هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته كما قال المؤلف؛ أو يقال: مؤمن ناقص الإيمان.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧)، ومسلم (١٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ينظر: الإيمان الكبير (ص ٢٨٣)، والإيمان الأوسط لابن تيمية (ص٤٤٢)، (ص٤٨٢).

وقوله: (لا نكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ): في هذا تأكيد لقوله: **(ولا يخرج من الإسلام بشيءٍ إلَّا بالشرك بالله تعالى)**، ويريد الذنوب التي دون الكفر؛ كعقوق الوالدين وشهادة الزور واليمين الغموس، والزنا والسرقة وشرب الخمر؛ فلا يكفر المسلم بارتكاب شيء من ذلك؛ لأنها تدخل في المغفرة تحت المشيئة لأنها دون الشرك وما في حكمه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ فالشرك وما في حكمه من أنواع الكفر هي ذنوب موجبة للردة، ولهذا ينبغي أن يقال: لا نكفِّر أهل التوحيد بكل ذنب؛ خلافًا للخوارج، وقول المؤلف: **(لا نكفِّر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ)** كقول الطحاوي: «ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب»[(١)] فأهل التوحيد هم أهل القبلة؛ لأن جميع المسلمين قبلتهم واحدة كما جاء في الحديث الصحيح؛ قال ﷺ: «**من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته**»[(٢)]، ولما سئل أنس بن مالك: ما يحرِّم دمَ العبد ومالَه؟ قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم**»[(٣)].

وقوله: (فإن تاب تاب الله عليه): يعني المسلم إذا ارتكب ذنبًا ثم تاب؛ تاب الله عليه، بل التوبة توجب مغفرة كلِّ الذنوب بما في ذلك الكفر، لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]،

---

(١) ينظر: العقيدة الطحاوية بشرح شيخنا (ص٢١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٣٩١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه البخاري (٣٩٣).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ...﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]؛ فالتوبة لا تختصُّ بصاحب الكبيرة، بل هي عامةٌ، فإنَّ أعم وأعظم أسباب غفران الذنوب: التوبة إلى الله، فإنها لا تضيق عن ذنبٍ أبدًا؛ بل تتَّسع للكفر وما دونه.

والتوبةُ هي الرجوع إلى الله بترك الذنوب، والمراد بالتوبة النصوح التي أمر الله بها في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، مقتضية لغفران الذنوب كلِّها، وهي المشتملة على الشروط المعروفة[(١)]:

١- الندمُ على ما حصل من المعصية.

٢- والعزمُ على عدم العودة.

٣- والمقاطعةُ للذنب وهو ما يُعبر عنه بالإقلاع.

هذه شروط التوبة الخاصة مع الشروط العامة، وهي أن تكون خالصةً لله خوفًا ورجاءً.

قوله: (وإن مات من غير توبةٍ فأمره إلى الله، إن شاء عذَّبه، وإن شاء غفر له): مَن مات من أهل الذنوب من الموحِّدين مُصرًّا على ذنبٍ من

(١) ينظر: مدارج السالكين (١/ ٢٨٠).

الذنوب، فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذَّبه، وإذا عذَّبه فإنه لا يخلِّده في النار.

أمَّا الدليل على أنه تحت المشيئة، وأنه ليس الوعيد في حقِّه حتمًا: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فنفى الغفرانَ عن الشرك، وهذا في حقِّ غير التائب، وهكذا قوله: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ هو في حقِّ غير التائب، أمَّا مَن تاب من الشرك أو ما دون الشرك فهو سبحانه قد أوجب على نفسه قبول التوبة فضلًا منه وكرمًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ﴾ [النساء: ١٧]، أما من لم يتب فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، أما من لم يتب مما دون الشرك فهو تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذَّبه، وأما الشرك فإنه لا يُغفر إلا بالتوبة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ فهذه الآية في حكم من لم يتب، وأمَّا قوله سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، فهذه في حكم التائبين[(١)].

وتقدَّم حكم مُرتكب الكبيرة في الآخرة، وأنه تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذَّبه، وإذا عذَّبه فإنه لا يُخلِّدُه في النار؛ بل لا بدَّ من خروجه، كما في أحاديث الشفاعة وغيرها، وقد اتفق أهلُ السنَّة على ذلك[(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير آيات أشكلت على الكثير من العلماء لابن تيمية (١/ ٢٩٣)، ومدارج السالكين (١/ ٥٠٢-٥٠٣).

(٢) تنظر: (ص٩١)، (ص١٠٥).

قوله: (ولا نقطع لأحدٍ بجنَّةٍ ولا نارٍ بعد النبي ﷺ، ومَن شهدَ له النبي ﷺ بالجنة فهو من أهل الجنة، يجب التصديق به): يظهر أنَّ قوله: (**بعد النبي**) يعني بعد وفاته ﷺ؛ لأنه انقطع المصدر الذي يُستند إليه في الشهادة، فالمعنى أنه لا نشهدُ لأحدٍ بجنَّة ولا نارٍ إلا لمن شهد له الرسول ﷺ، أمَّا مَن شهد له الرسول بالجنَّة فإننا نقطع له بالجنة تصديقًا لخبره ﷺ، وهذا هو القولُ الوسط، فمن أهل العلم مَن قال: إنه لا يُشهد إلا للرسُل، وهذا قول ضعيفٌ؛ لأنَّ الرسول ﷺ أخبر في حقِّ أشخاصٍ عدةٍ بل وجماعاتٍ بأنهم في الجنة: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبقية العشرة[١]، والحسن والحسين[٢]، وثابت بن قيس بن شمَّاس[٣] وغيرهم، والجماعات؛ كأهل بدر[٤]، وأهل بيعة الرضوان، قال ﷺ :

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٧٥)، والترمذي (٣٧٤٧) من حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه ابن حبان (٧٠٠٢)، والألباني في تخريج الطحاوية (ص٤٨٧). وقال الترمذي: «وقد رُوي هذا الحديث عن عبد الرحمن بن حُميد، عن أبيه، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ نحو هذا، وهذا أصح من الحديث الأول.» ومراده ما أخرجه أحمد (١٦٤٤)، وأبو داود (٤٦٤٨)، والترمذي (٣٧٥٧) عن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان (٦٩٩٦). وللحديث طرق أخرى تنظر في: السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦١٨ رقم ٢٠٨).

(٢) أخرج أحمد (١٠٩٩٩) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة**» وورد من حديث أبي سعيد وحذيفة ابن اليمان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، والبراء بن عازب وأبي هريرة، وجابر بن عبد الله، وقرة بن إياس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: الصحيحة (٧٩٦)، ونظم المتناثر (٢٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

«**لا يردُ النارَ أحدٌ بايع تحت الشجرة**»[١]، هذا نصٌّ في نجاة أهل بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة[٢]، فهؤلاء نشهدُ لكلِّ واحدٍ منهم بالجنة والنجاة من النار، وكذلك النار لا نشهد لمعيَّن من العصاة بالنار، ولو ورد في جنسه وعيدٌ، ولا نشهد فنقول: أنَّ هذا سيُعذب في النار؛ كآكل مال اليتيم، وآكل الربا، والمتولي يوم الزحف، والقاذف وغيرهم، لكنه متوعدٌ، ويجوز أن يتوب، ويجوز أنَّ الله يغفر له، فإنه تحت مشيئة الله كما تقدَّم قريبًا، فلا نشهد لأحدٍ من أهل القبلة بجنَّةٍ ولا نارٍ إلا مَن شهد له الرسول ﷺ.

وبعضهم يقول في أمر الشهادة: إنه يشهد لمن شهدت له الأمةُ بالخير والصلاح وهذا ليس بمنضبطٍ، لكن مَن شهدت له الأمة يكون هذا من البشائر ومما يُستبشَر به، ويستدلُّ القائلون بهذا بقوله ﷺ لَمَّا مُرَّ عليه بجنازةٍ، فأثنوا عليها خيرًا، ومُرَّ بأخرى فأثنوا عليها شرًّا، وقال في كلِّ واحدةٍ: «**وجبت... وجبت**» ثم قال: «**أنتم شهداء الله في أرضه**»[٣]، إنما عُلم وجوب الجنة والنار بخبره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وشهادة أولئك الأخيار من صحابته -رضوان الله عليهم-، وأمَّا بعد ذلك فلا ينضبط هذا الأمر لكن مَن كان له لسان صدقٍ في الأمة، فإنَّ هذا مما يعظمُ له الرجاء في حسن العاقبة ودخول الجنة، فنرجو للمحسنين ونخافُ على المسيئين[٤].

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٤٨٠٢)، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) بلفظ: «**لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**» من حديث أم مبشِّر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه البخاري (٤٨٤٠)، ومسلم (١٨٥٦) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ينظر: منهاج السنة (٥/ ٢٩٥-٢٩٦)، ومختصر الفتاوى المصرية (١/ ٣٩٩).

قوله: (والاستثناء مشروعٌ في الإيمان؛ وهو أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وليس بشكٍّ في إيمانه، وإنَّما هو استثناءُ خوفٍ وإشفاقٍ): هذه مسألة الاستثناء في الإيمان، وهي من فروع الكلام في مسمَّى الإيمان؛ فيقول المؤلف: الاستثناء في الإيمان مشروعٌ، وهو قول الإنسان: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وفيه مذاهب:

قيل بتحريمه، يقول بهذا مَن يقول: إنَّ الإيمان هو التصديق، فيقول: الاستثناء في الإيمان شكٌّ فلا يجوز، فإذا قال الإنسان: أنا مؤمنٌ إن شاء الله معناها إذن هو شاكٌّ في إيمانه، فهو حرامٌ؛ لأنه عندهم يتضمن الشكَّ، والشكُّ في الإيمان كفرٌ؛ لأنَّ الشاكَّ ليس على يقينٍ أنه يؤمن بالله ورسوله.

وقيل بوجوب الاستثناء؛ لأنَّ الإنسان لا يدري عما يوافي به ربه، ويلقى به ربه؛ فلا يدري عن عاقبته وما يختم له به؛ فيجب عليه أن يقول: أنا مؤمنٌ إن شاء الله، وهذا يقوله مَن يقول: أنَّ الإنسان لا يثبت له الإيمانُ إلا باعتبار الموافاة وما يموت عليه.

وقيل: بأنه مشروعٌ ومستحبٌّ احترازًا من دعوى الكمال بأن يقول الإنسان: أنا مؤمنٌ كأن فيه شيءٌ من الدعوى، فيستحبُّ ويُشرع له أن يقول: إن شاء الله، براءة من الدعوى والإعجاب والاغترار، فيمكن أن يقول: أنا مؤمنٌ والحمد لله، أو أنا مؤمنٌ إن شاء الله.

لكن هناك تعبيرٌ آخرٌ إذا قيل لك: أنت مؤمنٌ؟ يمكن أن تقول: نعم، أنا أؤمن بالله ورسوله ﷺ، فهذا لا يحتاج إلى استثناء؛ لأنَّ الفعل لا يدلُّ على مثل ما يدل عليه الاسم. فقول الإنسان: أنا أؤمن ولله الحمد، أنا أؤمن بالله ورسوله، أنا أؤمن بالله واليوم الآخر، فهذا لا يحتاج فيه إلى الاستثناء ولا غضاضةَ إن

قال الإنسان: أنا أؤمن بالله ورسوله، أنا أؤمن بالله واليوم الآخر، أنا أؤمن بكتاب الله، لكن إذا قال: أنا مؤمنٌ فينبغي له الاستثناء؛ ولهذا **قال المؤلف**: **(وليس بشكٍّ في إيمانه)**: أي: ليس فيه شكٌّ، إنما يقول ذلك على سبيل الاحتراز عن تزكية النفس وعن ادعاء الكمال، لا شكًّا في إيمانه، وليس مثل ما يقول الإنسان: أفعل كذا إن شاء الله، فهذا لا يدري هل يشاء اللهُ منه ذلك أو لا يشاء[١].

وقول المؤلف: (وإنَّما هو استثناءُ خوفٍ وإشفاقٍ) يريد: استثناء سببه الخوف من تقلُّب وتغيُّر الحال، فهو لا يدري عما يختمُ له به، وخوفًا أيضًا من دعوى الكمال والإعجاب.

◆◈◈◈◆

(١) ينظر التفصيل في حكم الاستثناء في الإيمان في: الشريعة للآجري (٢/ ٦٥٦)، والإيمان لابن تيمية (ص٣٣٤) وما بعدها.



ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ

ويجب أن نعتقدَ أنَّ النبيَّ ﷺ أفضلُ الأنبياء، وكتابَه أعزُّ الكتب، وأمَّتَه خيرُ الأمم، وخيرهم أصحاب رسول الله ﷺ، وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبــو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ -رضي اللــه عنهم أجمعين-، ومَن اعتقــد أنَّ عليًّا أحقُّ بالخلافة من أبــي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجريــن والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن اعتقد خطأهم كفَر. ونترحَّم عليهم، ونتحدَّث بفضائلهم، ونسكت عما شجر بينهم.

ويجب الإيمانُ بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء.

فهــذا جميعُ اعتقــاد أهلِ التوحيد، ثبَّتنا الله عليــه، وعصمنا من المخالفة، ووفَّقنا للإقرار بالكتاب والســنَّة، إنه على كلِّ شــيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّمَ.

تمَّت في نهار الأربعاء أواخر صفر الخير من شهور سنة تسع وخمسين وألف.

كتبها لنفســه ولمن شــاء الله من بعده أفقر مخلوق وأضعفهم: أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد.

الشرح

يقول المؤلف: (ويجب) أيضًا -عطفًا على ما سبق- أن نعتقد أنَّ نبينا محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء، وهذا أمرٌ مُسلَّمٌ متفقٌ عليه، وسبقت الإشارة إليه أيضًا[(١)]، فنبينا ﷺ هو خاتم النبيين، وهو سيِّد المرسلين، وأفضل الأنبياء، يدلُّ على ذلك ما ثبت عنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**أنا سيِّد ولدِ آدم يوم القيامة ولا فخر**»[(٢)]، فله السيادةُ على الجميع، فإذا كان هو سيد ولد آدم؛ دلَّ ذلك على أنه أفضلهم، فمن كان سيد ولد آدم، والرسُل والأنبياءُ هم من ولد آدم؛ لزم أن يكون سيدَ النبيين. وسيد القوم هو أفضلهم، فهو أفضل النبيين ﷺ، ويظهر فضله بما أكرمه الله به يوم القيامة بكرامات يَفضُل بها غيره، تظهر أولًا في المقام المحمود عندما يترادُّ الأنبياء الشفاعة؛ فآدم يردُّها إلى نوح، ونوح يردها إلى إبراهيم، وإبراهيم إلى موسى، وموسى إلى عيسى، وعيسى إلى النبي ﷺ[(٣)]، فهذا مما يُظهر الله به سيادةَ محمد ﷺ على جميع العالمين في ذلك اليوم والموقف العظيم، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء]، وهي الشفاعة الكبرى لأهل الموقف[(٤)]، وقال ﷺ: «**أنا أوَّلُ**

---

(١) تنظر: (ص٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٠٩٨٧)، والترمذي (٣١٤٨)، (٣٦١٥)، بهذا اللفظ، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وقال الترمذي: «حديث حسن». وينظر: الصحيحة (١٥٧١).
وفي مسلم (٢٢٧٨) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة**».

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، (٧٤٤٠)، (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٣)، (١٩٤) من حديث أنس وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وجاء عن جمع من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. ينظر: نظم المتناثر (٣٠١).

(٤) صح ذلك عن أنس وابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ. كما في البخاري (٧٤٤٠) (١٤٧٥)، وينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٤٣-٤٧)، وابن كثير (٥/ ١٠٣).

شافعٍ وأوَّلُ مُشفَّعٍ»[(١)]، فهو أول مَن يشفع، فالأنبياء والرسل والملائكة يشفعون، وهو ﷺ المقدم عليهم، وهو أول مَن يؤذن له بالشفاعة ﷺ.

(وكتابه)؛ أي: كتاب النبي ﷺ، وهو القرآن، أضافه المؤلف إلى النبي؛ لأنه هو الذي جاء به وبلَّغه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإلَّا فالأصل أن يضاف إلى الله فهو كتاب الله.

(أعز الكتب)؛ أي: أرفعها وأعظمها، وهذا أمرٌ أيضًا متفقٌ عليه، أنَّ القرآن أفضل كتُب الله المنزلة على أفضل رسُل الله، وهذا أيضًا فيه تناسبٌ بين الرسول ﷺ وبين الرسالة، فجاء أفضل الرسُل بأفضل رسالة؛ فالقرآن هو أفضل كتُب الله المنزَّلة: من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وقد وصف الله القرآن بصفاتٍ ما وصف بها كتابًا من كتبه؛ بأنه عظيمٌ وحكيمٌ وكريمٌ ومجيدٌ، ووصفه بأنه ذو الذِكر؛ فقال تعالى: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝٢١﴾ [البروج]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝٧٧﴾ [الواقعة]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر]، إلى غير ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلك **(أمته خيرُ الأمم)**، فيتطابق كلُّها: الرسول والرسالة والمرسَل إليهم كلُّهم موصوفون بالخيرية على غيرهم؛ فالرسول خيرُ الأنبياء، وكتابُه الذي جاء به أفضل الكتب، وأمته خيرُ الأمم، ومما يُستدل به على أنَّ هذه الأمة خير الأمم: قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران]، وكذلك قوله ﷺ: «**خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**»[(١)]، وجاء في الحديث المعروف المشهور: «**أنتم تُوفون سبعين أُمَّة أنتم خيرها وأكرمُها على الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٢)]، فهذه الأمة هي خيرُ الأمم، والأدلة على خيريتها كثيرةٌ: في أنَّ أول مَن يدخل الجنة أمَّتُه، وهو أول مَن يدخل الجنة من الأنبياء[(٣)]، وقال ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة. ونحن أول من يدخل الجنة. بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»[(٤)].

ومما يدل على خيرية هذه الأمة: أنَّ الله أثنى عليها بقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: خِيارًا وعُدولًا[(٥)] لتكونوا شهداء على الناس، وثبت أنهم يشهدون للأنبياء بالبلاغ[(٦)]، وخير هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠١٥)، والطبراني في الكبير (١٠١٢)، (١٠٢٣)، بهذا اللفظ، وبنحوه الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨) من حديث معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الترمذي، وقال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٢/ ٢٣٢) «حديث جيِّد».

(٣) أخرج مسلم (١٩٦)، (١٩٧) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) -واللفظ له- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٦٢٦).

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الأمة أصحاب محمد ﷺ، للحديث المتقدِّم، وهو قوله ﷺ: «**خيركم قرني**»[(١)]، وقرنه هو الذي بُعث فيه كما جاء في اللفظ الآخر: «**القرن الذي بُعثت فيهم**»[(٢)]، فخيرُ الناس القرن الأول، وهم الأمة الأولى أو الجماعة الأولى وهم أصحابه ﷺ، وهذا أيضًا باتفاق أهل السنَّة، فأهل السنَّة متَّفقون على أنَّ أفضل هذه الأمة أصحاب محمد ﷺ.

وإذا كانت هذه الأمةُ خيرَ الأمم، والصحابة هم خير هذه الأمة، نتجَ عن ذلك أن يكونوا هم خير الناس بعد الأنبياء، كما يقول الإمام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية»: من نظر في سيرة القوم- يعني: الصحابة- بعلم وبصيرة... علم أنهم خير الناس بعد الأنبياء، لا كان، ولا يكون مثلهم[(٣)].

والأدلة على فضل الصحابة متعدِّدةٌ: قال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال ﷺ: «**لا يدخلُ النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة**»[(٤)]، وقال ﷺ: «**لعلَّ الله اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٣٥-٢١٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبرقم (٢٥٣٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولفظه: «**القرن الذين بُعثت فيهم**»، وما ذكره شيخنا هو لفظ أحمد (١٩٨٢٣)، (٧١٢٣) من حديث عمران بن حصين، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٣) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص٢٢٢).

(٤) أخرجه أحمد (١٤٧٧٨)، وأبو داود (٤٦٥٣)، والترمذي (٣٨٦٠)، وقال: «حديث حسن صحيح»، وصححه ابن حبان (٤٨٠٢)، وأخرجه مسلم (٢٤٩٦) بلفظ: «**لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**» من حديث أم مبشِّر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والصحابةُ: هم المهاجرون والأنصار، ومَن تبعهم في ذلك كما قال تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال]، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قوله: (وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ -رضي الله عنهم أجمعين- ...) إلى آخره: كذلك يجب أن نعتقد أنَّ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ من هذه الأمة أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قُحافة التيمي القرشي، ثم عمر بن الخطاب العدوي، ثم عثمان بن عفان الأموي، ثم علي بن أبي طالب الهاشمي.

فيجب أن نعتقد أنهم على هذا التَّرتيب في الفضل، بل الأولى أن نقول: أفضل هذه الأمة أبو بكر، ثم عمر، وهذا باتفاق المسلمين قديمًا وحديثًا، ثم عثمان، ثم علي.

يقول الإمام ابن تيمية: «إن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان، وعلي، بعد اتفاقهم على أبي بكر، وعمر أيهما أفضل، فقدَّم قومٌ عثمانَ، وسكتوا، أو ربَّعُوا بعلي، وقدَّم قومٌ عليًّا، وقوم توقفوا»[(١)]، فهذه ثلاث مذاهب، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا

(١) الواسطية بشرح شيخنا (ص٢١٢).

نَعـدِل بأبي بكر أحـدًا، ثم عمر، ثم عثمـان، ثم نترك أصحـاب النبي ﷺ لا نُفاضل بينهم»[١].

وقال شـيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد كلامه السـابق: ثم استقرَّ أمر أهل السنَّة على تقديم عثمان على عليٍّ[٢]، وهذا هو الذي اسـتقرَّ عليه الأمر، ولهذا دائمًا إذا ذُكروا يُذكرون على هذا الترتيب.

إذن؛ باتفاق أهل السنَّة أنَّ الأحقَّ بالخلافة أبو بكر بعد رسول الله ﷺ، ثم يختلفون هل ثبتت خلافته بالنص الجليِّ أو بالنص الخفيِّ والإشارةِ، أم باختيار الصحابة، في هذا مذاهب للناس.

وقـد جاءت أدلةٌ تـدلُّ على أنَّ أبا بكر هو الخليفة بعد رسـول الله ﷺ، ولكن هذا الخلاف أمرُه سـهلٌ، لكن الذي لا ريب فيه أنَّ الخليفة بعد رسـول الله ﷺ بحقٍّ هو أبو بكر الصديق الصاحب الأول لرسول الله ﷺ، وثاني اثنين في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنَّ الله معنا.

وذكر شـيخ الإسـلام المذاهب فيما ثبتت به خلافة أبي بكر، وذكر أنها ثبتـت حكمًا بالنص جليًّا أو خفيًّا، وهنـاك نصوص قد تكون جليَّة، ونصوص فيها إشارةٌ، يرجع إليها في «المنهاج»[٣]، وثبتت فعلاً بالاختيار، بمعنى أنهم لو فُـرض أنَّ الصحابة لم يتفقوا عليه ما تمَّ له ذلك، ولكن الله عصمهم ووفقهم؛ فاتفقوا وجمع قلوبهم على ما يحبه نبيهم ﷺ الذي قال كما في حديث عائشة: قالت: قال لي رسـول الله ﷺ في مرضه: «**ادعِي لي أبا بكرٍ أباك، وأخاك حتى**

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٧).
(٢) ينظر: الواسطية بشرح شيخنا (ص٢١٢).
(٣) منهاج السنة (١/ ٤٨٦-٥٣٢).

أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يتمنَّى مُتمنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أولى. ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكرٍ»[(١)].

وباتفاق أهل السنَّة أنَّ الأحقَّ بالخلافة هو عمر بعده -وفعلًا- هو الأفضل والأحقُّ، ثم عثمان باتفاق المهاجرين والأنصار على مبايعته، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد اختلف الناس عليه في أمر الخلافة، لكنه هو رابعُ الخلفاء الراشدين -رضي الله عنهم وأرضاهم-.

يقول المؤلف: (ومَن اعتقد أنَّ عليًّا أحقُّ بالخلافة من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد خطَّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإن اعتقد خطأهم كفَر): وهذا لا تقول به إلا الرافضة، فالرافضة يقولون: إنَّ عليًّا هو الوصيُّ، فهو الذي أوصى النبي ﷺ بتوليته، ولكن الصحابة كتموا الوصية وخانوا وظلموا، فمنهم مَن يُفسِّق الصحابة بذلك، ومنهم مَن يكفِّرهم، وهذا أحد أصول الكفر عند الرافضة، فإنهم يذهبون إلى أنه قد كفر وارتدَّ جمهورُ الصحابة إلا نفرًا قليلًا[(٢)]، وهذا طعنٌ في أصل دين الإسلام، فإنه لو فُرض ذلك لكان هذا الدين غير موثوقٍ به، فالقرآن والسنة من أين وصلا إلينا إلا من طريق الصحابة؟ ولهذا قال المحققون: إنَّ مذهب الرفض هو من ابتداع الزنادقة المنافقين؛ لأنهم أرادوا التوصُّل بهذا إلى الطعن في دين الإسلام، لكن هذا لا يمكنهم أن يأتوا إليهم مواجهة، فجاؤوا من هذا الطريق[(٣)]، وقد نبَّه إلى هذا الإمام أبو زرعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٧).

(٢) ينظر: الفرق بين الفِرق (ص٢٧٧-٢٧٨)، وينظر تعارض أقوالهم مع توثيقها من مراجعهم في: عقائد الشيعة الاثني عشرية لعبد الرحمن الشثري (ص ١٥٧-١٥٨)، وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية -عرض ونقد- للقفاري (٢/ ٧١٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٤٢٨-٤٢٩).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌّ، والقرآن حقٌّ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة»[(١)]، ولا ريب أن الأمر كما قال، وبهذا يُعلم أن شر طوائف المنتسبين إلى الإسلام هم الرافضة؛ فعلماؤهم طواغيت يحملون الحقد على الإسلام والمسلمين خصوصًا أهل السنة والجماعة، وعامتهم طَغام[(٢)] جهال ضُلَّال أضلهم أولئك الطواغيت؛ فأئمتهم كفار بأعيانهم، وأما عامتهم فهم كفار مشركون في جملتهم دون الحكم على معين منهم؛ لأنهم قد يُعذرون بجهلهم[(٣)]، نعوذ بالله من سبل أهل النار، والحمد لله على نعمة الإسلام والسنة، ولكن كلُّ الأصول الكفرية التي هي معروفة عن الرافضة هم يكتمونها؛ لأنهم يسترونها بأصلهم الآخر التقيَّة، فهم لا يَبوحون ببُغضِ الصحابة، ولا يتكلمون في هذا، ولا في شأن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة، لكنه مسطورٌ في كتبهم وموجودٌ، وهم يعملون بالتقية مع الناس ليتمكنوا من الوصول إلى مآربهم، ولو أظهروا ما عندهم ومخبوءَهم لافتضحوا ورجمهم المسلمون صغارهم وكبارهم بالحجارة، لكن المؤسِّس لهذا المذهب بناه على التقيَّة.

قوله: (ونترحَّم عليهم، ونتحدَّث بفضائلهم، ونسكت عما شجر بينهم):

يقول: (**نترحَّم عليهم**): أي: ندعو لهم بالرحمة، فنقول: رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ونترضَّى

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الكفاية في علم الرواية (ص٤٩).

(٢) الطَّغام: أرذال الناس وأوغادهم. ينظر: لسان العرب (١٢/ ٣٦٨).

(٣) ينظر: الاستغاثة (ص٤١١)، والكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص١٨٩).

عنهم، ونقول: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهذا سبيل الذين قال الله فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

فنترحَّم عليهم، ونترضَّى عنهم، ونذكرهم بخصالهم الحميدة، وفضلهم وفضائلهم عامةً وخاصةً؛ فنعرف لأبي بكر فضائله، ولعمر وعثمان وعلي ولبقية العشرة، وفضائل الحسن والحسين، وفضائل أمهات المؤمنين، ونُنزل كلًّا منهم منزلته، ونحبُّهم جميعًا، ونذكرهم بالجميل، ولا نتبرَّأ من أحدٍ منهم؛ بل نُبغض مَن يُبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، كما قال الطحاوي: «وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبُغضهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ»[1].

(**ونسكت عما شجر بينهم**): فهذا من منهج أهل السنَّة: الإمساكُ عما وقع بين جماعاتهم أو بين أفراد منهم من اختلافٍ أو خصومةٍ أو نزاعٍ أو قتالٍ، فنمسك ولا نخوض، فلا نتَّخذ هذا حديث المجالس، وحديث السمر؛ بل نمسك عما شجر بينهم.

وإذا كان الواجب في شأن عموم المسلمين أن تمسك عن الخوض في أعراضهم، وأن تلتمس الأعذار لهم، وأن تمحّص الأخبار المنسوبة إليهم، فكيف بأصحاب الرسول ﷺ، فهم أحقُّ بذلك، وأحقُّ بالاحترام، وبتطهير الألسن من أعراضهم.

---

(١) الطحاوية بشرح شيخنا (ص٦٥٣).

ولهذا لَمَّا سئل عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أو ذُكر له ما كان بين علي ومَن معه ومعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ قال: هذه دماء طهَّر الله منها سيوفنا، فلنطهِّر منها ألسنتنا[١].

والذين يخوضون في هذا ويتكلَّمون فيه: منهم الجاهلُ الذي يذكر هذه الأمور بسذاجةٍ وغفلةٍ وجهالةٍ لا يعي ما وراءها، ولا يعرف نتائجها وثمارها، ومنهم مَن يُثير هذه القضايا ويتكلَّم عنها لزرع الحقد في قلوب المؤمنين على أصحاب الرسول وتشويه سُمعة الصحابة، وهذا هو غرض الرافضة والناصبة والملاحدة وطوائف أخرى من الناس، تكون لهم أغراض سيئةٌ يجمعها الطعن في الصحابة وتشويه سُمعتهم، ويفضي ذلك إلى الطعن في دين الرسول، وفي القرآن، وفي سنَّة الرسول ﷺ؛ لأنهم حَمَلتُها، فهم الذين بلَّغوا لنا هذا الدين عِلمًا وعملًا، وهم الذين قاموا بنشره في أقطار الدنيا -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فيجب حبُّهم وذكرهم بفضائلهم، والكفُّ عن مساوئهم، يقول شيخ الإسلام: «إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون؛ إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون»[٢].

قوله: (ويجب الإيمانُ بمعجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء): يجب الإيمان أيضًا بمعجزات الأنبياء يعني ما صح منها وبلغنا، وقد بلغنا منها بخبر الله عدة معجزات، فمن ذلك:

---

(١) ينظر: العلل ومعرفة الرجال لأحمد رواية المروذي وغيره (٥٢٦)، والمجالسة وجواهر العلم (١٩٦٥).

(٢) الواسطية بشرح شيخنا (ص٢٢١).

الناقــة لنبي الله صالح التي أخرجها الله، وكانت ناقةً عظيمةً لها شِــربٌ ولهم شِــربُ يوم معلــوم، والله ذكرها آية، فقــال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾ [الإسـراء]، وذكرُ الناقة في قصــة صالح وقومه ثمود، ورد ذكرهــا في القرآن في مواضع في ســورة الأعراف، وهود، وفي مواضع أخرى كما في سورة الشــمس وضحاها، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَىٰهَا ١٣﴾ [الشمس].

ومن ذلك عصا موســى، واليد، قال تعالى عن فرعون أنه قال لموســى: ﴿فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾ [الشـعراء]، وعند إرسال موسى قال الله تعالى: ﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ٣١ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصـص]، برهانان: اليد والعصا[1]. وكلمة «معجزات»: هذا اصطلاح المتكلمين؛ يسمُّون آيات الأنبياء معجزات، وإلا فاسمها في لسان الشرع: البراهين والبينات[2].

وأعظم آيةٍ جاء بها نبينا محمد ﷺ هي القرآن الذي تحدَّى الله به الثقلين الجن والإنس، هو آية النبي ﷺ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [العنكبوت]، وتحداهم أن يأتوا بعشر سورٍ وبسورةٍ، فقال تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٢٤٦-٢٤٨).

(٢) ينظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤١٢-٤١٩)، والنبوات (١/ ٢١٥)، (٢/ ٨٢٨).

مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: ٣٨]، وقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ومن الخوارق: كراماتُ الأولياء، وهي خوارق العادات. والخوارق: يعني الأمورُ التي تحصل على خلاف السنن الكونية؛ فنبعُ الماء من بين أصابع الرسول ﷺ[1] هذا خارقٌ، لأن المعتاد أنَّ الماء ينبعُ من الآبار، ومن الأنهار، ومن عيونٍ تُحفر، أمَّا حجر منفصلٌ كحَجَر موسى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، فهذا خارقٌ.

كذلك انشقاقُ القمر للنبي ﷺ، هذا أمرٌ خارقٌ، كونه ينشقُّ القمر ويصير فِلْقَتَين متباعدتين يشاهدها الناس البعيدُ منهم والقريبُ.

والإمام ابن تيمية له كلامٌ مُستفيضٌ في هذه الميادين وغيرها، في مسألة الخوارق والكرامات وتصنيفها وأنواعها[2]؛ يقول: إنَّ الخوارق ترجع إلى ثلاثة معانٍ: الغنى، والعلم، والقدرة[3]، كلّ مظاهر الخوارق إمَّا إلى القدرة؛ مثل الخوارق التأثيرية؛ ومثل مسألة الحجر، ومسألة العصا؛ فهذه ترجع إلى القدرة، والخوارقُ العلمية؛ مثل الإخبار عن الأمور الغائبة، والخوارقُ التي ترجع إلى الغِنى مثل الاستغناء عن الأكل والشرب مددًا طويلةً كما حصل لأصحاب

---

(١) وقع هذا غير مرة، وتنظر الأحاديث في: البخاري (١٦٩)، (٢٠٠)، (٣٥٧٢)، (٤١٥٢)، ومسلم (٢٢٧٩)، (٣٠١٤) من حديث أنس وجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) منها: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وقاعدة شريفة في المعجزات والكرامات ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٣١١-٣٦٢).

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٣٤٩)، ومجموع الفتاوى (١١/ ٣١٢).

الكهف الذين بقوا في كهفهم ما شاء الله من السنين، فقال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ٢٥﴾ [الكهف]، وبقوا ما شاء الله من المدد، ولم تأكل الأرض لحومهم، ولم يتلفوا.

ولو أنَّ إنسانًا بقي مدةً من الزمن بدون غذاءٍ مات، ولو أُغمي على إنسانٍ ولم تحدُث هذه الوسائل من إسعافٍ وحقن الغذاء فيه لمات، فهذه السنَّة الكونية، هؤلاء كانوا نائمين، ولا غذاء، ولا طعام، ويتقلبون طول الزمان، فهذا خارقٌ يرجع إلى معنى الغنى؛ لأنهم استغنوا في هذه المدة الطويلة، ولهذا لَمَّا قاموا كأنهم قاموا جياعًا، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثۡنَٰهُمۡ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيۡنَهُمۡۚ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ كَمۡ لَبِثۡتُمۡۖ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۚ قَالُواْ رَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثۡتُمۡ فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ فَلۡيَنظُرۡ أَيُّهَآ أَزۡكَىٰ طَعَامٗا...﴾ [الكهف: ١٩] الآية.

ومن الخوارق العجيبة: أمرُ مريم عَلَيۡهَاٱلسَّلَامُ حيث وَلدت ولدًا من غير أبٍ؛ فهذا خارق للسنن الكونية، وهو الوحيد من البشرية، فإنَّ البشر كان خلقهم على أربعة وجوه:

إنسانٌ من غير ذكرٍ وأنثى، وهو آدم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ، وحواءُ من ذكرٍ بلا أنثى، وعيسى عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ من أنثى بلا ذكرٍ، وبقيةُ البشرية من ذكرٍ وأنثى.

كذلك ما حكاه الله في سورة الكهف من أمر الخضر مع موسى، فهذه كلُّها أمور خارقةٌ.

فأهل السـنَّةِ والجماعةِ يؤمنون بمعجزات الأنبيـاء وبكرامات الأولياء، خلافًـا للمعتزلة[١] الذين يُنكرون كرامات الأوليـاء، ويقولون: لو جرى خرقُ العادة على يد وليٍّ لاشـتبه الوليُّ بالنبي، فهذه من شُبههم، فقيل لهم: إنَّ الولي لا يدَّعي النبوة، فلا يشتبه الولي إذن بالنبي[٢].

قوله: (فهـذا جميعُ اعتقاد أهـلِ التوحيد، ثبَّتنا الله عليـه، وعصمنا من المخالفة، ووفَّقنا للإقرار بالكتاب والسـنَّة، إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّمَ): هذا ختام هذه النُّبذة التي ألَّفها صاحبها أبو الحسن علي بن شكر الشافعي بعدما ذكر هذه المسائل التي يجب اعتقادها، وعليها مذهب أهل السـنَّة والجماعة، وكلُّها ترجع إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسُـله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وقد ذكر ما يجب الإيمان به مـن توحيد الله بأنواعه، وفصَّل فيما يتعلَّق بالأسـماء والصفات بأسـماء الله وصفاته، وفصَّل أكثر فيما يتعلق بمسألة كلام الله ومسألة القرآن، وأجمل فيما بعد ذلك.

ويُلاحظ أنَّ المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يُؤخذ عليه شيءٌ ممَّا ذُكر، فكلّ ما ذكره حـقٌّ وعليه أهل السـنَّة والجماعة. ولم يؤخذ عليـه إلا إطلاق «القديم» على القرآن، وأنَّ الله كلَّم موسـى بكلامٍ قديمٍ؛ فالظاهر أنه يذهب مذهب السالمية فـي الكلام، وأنه حروفٌ وأصـواتٌ قديمةٌ مقترنةٌ في الأزل، وتقدَّم أنَّ كلًّا من

(١) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (١٥/ ١٨٩)، (١٥/ ٢٤١).
(٢) ينظر: النبوات (١/ ١٢٩) وما بعدها، (١/ ٤٨٤)، (٢/ ١٠٣٦).

مذهب الكلَّابية، أو الأشعرية، أو السالمية في كلام الله كلّها أقوال بدعيةٌ مردودةٌ مناقضةٌ لموجب الكتاب والسنَّة مخالفةٌ لمذهب أهل السنَّة والجماعة[١].

ثم يقول المؤلف: إنَّ هذا هو جميع اعتقاد أهل السنَّة والجماعة؛ فإن أراد من حيث وجوب الإيمان بالله وملائكته على سبيل الإجمال فنعم، أمَّا التفصيلُ فهو لم يذكر كلَّ مسائل الاعتقاد تفصيلًا، فنحمله على أنه باعتبار الإيمان، وأنه يجب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. والإيمان بالقرآن يتضمن الإيمان بكلِّ ما أخبر الله به في كتابه، والإيمان بالرسول يتضمن الإيمان بكلِّ ما أخبر به عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لكن كأنه راعى في هذا ما ذكره على سبيل الإجمال.

وقول المؤلف: (اعتقاد أهل التوحيد)؛ أهل التوحيد هم أهل السنَّة والجماعة المقرُّون بوحدانية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته، فهذا اعتقادهم.

ويختمُ هذه الرسالة بهذه الدعوات الطيبة؛ وسؤال الله الثبات والعصمة والتوفيق، وهذا مناسبٌ لختم الكلام، نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يثبتنا على الإيمان به وتوحيده وإخلاص الدين له وعلى محبته ومحبة رسوله، والتحقُّق من متابعته عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد.

وقول الناسخ: (صفر الخير): يريد شهر صفر، وكان أهل الجاهلية يتشاءمون به، فهو عندهم شهر شر وقتال[٢]؛ فصار بعض المسلمين يقول: صفر

---

(١) تنظر: (ص٣٣)، (ص٤١)، (ص٤٤).

(٢) ينظر: لطائف المعارف (ص١٤٨)، والكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد (ص٥٢٥).

الخير؛ ردًّا على أهل الجاهلية، وهذا غلط؛ فشـــهر صفر ليس له خصوصية في خير ولا شر؛ فالذي ينبغي ترك مثل هذا التعبير بل هو كسائر الشهور[١].

وكان الفراغ من هذا التعليق في يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ذي القَعدة من عام خمسة وأربعين وأربع مئة بعد الألف.

◆◈◈◈◆

(١) ينظـــر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٥٦٧)، ومعجم المناهي اللفظية (ص٣٣٩)، (ص٦٥٨).



قائمة المراجع

(أ)

١. **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، حققه: جماعة من المحققين، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٢. **الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن الأشعري، حققه: صالح بن مقبل العصيمي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢.

٣. **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، القاضي أبو يعلى، حققه: محمد بن حمد الحمود النجدي، غراس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٤.

٤. **أبكار الأفكار في أصول الدين**، أبو الحسن الآمدي، حققه: أحمد محمد المهدي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.

٥. **آثار العلامة المعلمي**، حققه: جماعة من المحققين، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٤.

٦. **إثبات صفة العلو**، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، حققه: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٧. **إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين**، أبو بكر البيهقي، حققه: شرف محمود القضاة، دار الفرقان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٣.

٨. **اجتماع الجيوش الإسلامية**، ابن قيم الجوزية، حققه: عواد عبد الله المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

٩. **الأحاديث الطوال**، سليمان بن أحمد الطبراني، حققه: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤.

١٠. **أحكام الجنائز وبدعها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١١. **الإحكام في أصول الأحكام**، الآمدي، حققه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢.

١٢. **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، حققه: عمر بن محمود، دار الراية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١٣. **آداب البحث والمناظرة**، محمد الأمين الشنقيطي، حققه: سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

١٤. **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، أبو المعالي الجويني، حققه: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

١٥. **أساس التقديس في علم الكلام**، فخر الدين الرازي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، طبعة ١٤١٥.

١٦. **الاستغاثة في الرد على البكري**، ابن تيمية، حققه: عبد الله بن دجين السهلي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الرابعة، ١٤٣٦.

١٧. **الأسماء والصفات**، أبو بكر البيهقي، حققه: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

١٨. **أصل صفة صلاة النبي ﷺ**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧.

١٩. **أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية – عرض ونقد –**، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الثانية، ١٤١٥.

٢٠. **إعلاء حديث الجارية: دراسة نقدية لحديث الجارية، ومناقشة اعتراضات الكوثري والغماري والسقَّاف**، سعد الشيخ، مؤسسة العلوم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٤٣.

٢١. **أعلام الحديث**، أبو سليمان الخطابي، حققه: محمد بن سعد آل سعود، جامعة أم القرى، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

٢٢. **إعلام الموقعين**، ابن قيم الجوزية، حققه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣.

٢٣. **الاقتصاد في الاعتقاد**، أبو حامد الغزالي، حققه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٢٤. **الإقناع في مسائل الإجماع**، علي بن محمد ابن القطان، حققه: حسن فوزي الصعيدي، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٢٥. **آكام المرجان في أحكام الجان**، محمد بن عبد الله الشبلي، حققه: إبراهيم محمد الجمل، مكتبة القرآن، القاهرة.

٢٦. **الإيمان الأوسط = شرح حديث جبريل**، ابن تيمية، حققه: علي بن بخيت الزهراني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، طبعة ١٤٢٣.

٢٧. **الإيمان**، ابن أبي شيبة، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

٢٨. **الإيمان**، ابن تيمية، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة الخامسة، ١٤١٦.

٢٩. **الإيمان**، ابن منده، حققه: علي بن محمد الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٣٠. **الإيمان**، أبو عبيد القاسم بن سلام، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١.





(ب)

٣١. **البداية والنهاية**، ابن كثير، حققه: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٨.

٣٢. **بدائع الفوائد**، ابن قيم الجوزية، حققه: علي العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤٠.

٣٣. **بيان تلبيس الجهمية**، حققه: جماعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

(ت)

٣٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المرتضى الزبيدي، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.

٣٥. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، شمس الدين الذهبي، حققه: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤.

٣٦. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، حققه: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، طبعة ١٤١٥.

٣٧. **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد البيجوري، حققه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

٣٨. **التسعينية**، ابن تيمية، حققه: محمد بن إبراهيم العجلان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٣٩. **تعظيم قدر الصلاة**، محمد بن نصر المروزي، حققه: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

٤٠. **التعليق على القواعد المثلى**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الله المزروع، دار التدمرية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣٢.



٤١. **تعليقـات على المخالفات العقدية في فتح الباري**، عبد الرحمن البراك، دار التوحيد للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٣.

٤٢. **تفسـير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم**، حققه: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

٤٣. **تفسير الثعلبي= الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير، جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٦.

٤٤. **تفسير الرازي= مفاتيح الغيب**، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠.

٤٥. **تفسير السعدي=تيسـير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، حققه: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

٤٦. **تفسير الطبري= جامع البيان في تفسـير القرآن**، محمد بن جرير الطبري، حققه: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٤٧. **تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن محمد الخليفة، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

٤٨. **تكملة إكمال الإكمال في الأنسـاب والأسـماء والألقاب**، جمال الدين ابن الصابوني، حققه: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، طبعة ١٣٧٧.

٤٩. **تمهيـد الأوائل في تلخيص الدلائل**، أبـو بكر الباقلاني، حققه: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧.

٥٠. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، ابن عبد البر، حققه: مصطفى بـن أحمـد العلوي ومحمد عبد الكبيـر البكري، وزارة عموم الأوقاف والشـؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧.

٥١. **تهذيب سنن أبي داود**، ابن قيم الجوزية، حققه: علي العمران ونبيل السندي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤٠.

٥٢. **توضيح المقصود من حائية ابن أبي داود**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٤٤.

٥٣. **التوضيح للمسائل العقدية في مقدمة الرسالة القيروانية**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٤٢.

٥٤. **توضيح مقاصد العقيدة الواسطية**، عبد الرحمن البراك، إعداد: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٢.

٥٥. **التوضيحات الجلية في شرح الفتوى الحموية**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٤٢.

(ج)

٥٦. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، مجد الدين المبارك ابن الأثير، حققه: عبد القادر الأرناؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

٥٧. **جامع المسائل**، ابن تيمية، حققه: عزير شمس وآخرون، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤٠.

٥٨. **الجنى الداني في حروف المعاني**، حسن بن قاسم المرادي، حققه: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

٥٩. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، حققه: علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٩.

٦٠. **جواب أهل العلم والإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ تعدل ثلث القرآن**، ابن تيمية، حققه: أبو عمر الندوي وعبد العزيز ندا، دار القاسم، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

٦١. **جواب في الإيمان ونواقضه**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، اعتنى به: عبد الرحمن بن صالح السديس، دار التدمرية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧.

(ح)

٦٢. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، حققه: زائد النشيري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

٦٣. **الحبائك في أخبار الملائك**، جلال الدين السيوطي، حققه: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

٦٤. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

(خ)

٦٥. **خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

٦٦. **خلق أفعال العباد**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

(د)

٦٧. **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١.

٦٨. **الديباج**، إسحاق بن إبراهيم الختلي، حققه: إبراهيم صالح، دار البشائر، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

(ذ)

٦٩. **الذيل على طبقات الحنابلة**، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، حققه: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

(ر)

٧٠. **الرد على الجهمية والزنادقة**، أحمد بن حنبل، حققه: دغش العجمي، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦.

٧١. **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: بدر بن عبد الله البدر، دار ابن الأثير، الكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٦.

٧٢. **الروح**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

٧٣. **روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، ابن قدامة المقدسي، حققه: عبد الكريم النملة، مكتبة الرشد ناشرون، السعودية، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٣٨.

(ز)

٧٤. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، حققه: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

٧٥. **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي ورفقاؤه، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠.

(س)

٧٦. **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.

٧٧. **السنة**، أبو بكر أحمد بن محمد الخَلَّال، حققه: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٠.

٧٨. **السنة**، أبو بكر بن أبي عاصم، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠.

٧٩. **السنة**، عبد الله بن أحمد بن حنبل، حققه: محمد بن سعيد القحطاني، دار عالم الكتب، الطبعة الرابعة، ١٤١٦.

٨٠. **سنن ابن ماجه**، محمد بن يزيد بن ماجه، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٨١. **سنن أبي داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٨٢. **سنن الترمذي**، أبو عيسى الترمذي، حققه: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٨٣. **سنن النسائي**، أحمد بن شعيب النسائي، حققه: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦.

٨٤. **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥.

(ش)

٨٥. **الشامل في أصول الدين**، عبد الملك بن عبد الله الجويني، حققه: علي سامي النشار وآخرون، منشأة المعارف بالإسكندرية، طبعة ١٣٨٩.

٨٦. **شأن الدعاء**، أبو سليمان الخطابي، حققه: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤.

٨٧. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، هبة الله بن الحسن اللالكائي، حققه: أحمد بن سعد الغامدي، دار طيبة، السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤١٦.

٨٨. **شرح الأصبهانية**، ابن تيمية، حققه: محمد السعوي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠.

٨٩. **شرح الأصول الخمسة**، القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي، حققه: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦.

٩٠. **شرح الطحاوية**، ابن أبي العز الحنفي، حققه: شعيب الأرناؤوط وعبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٧هـ، وطبعة دار السلام بتخريج الألباني الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦.

٩١. **شرح العقيدة التدمرية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه عبد الرحمن السديس، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة السابعة، ١٤٤٢.

٩٢. **شرح العقيدة الطحاوية**، عبد الرحمن البراك، أعدَّه: عبد الرحمن السديس، دار التدمرية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤.

٩٣. **شرح المواقف**، الجرجاني مع حاشيتي السيالكوتي والفناري، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٩٤. **شرح حديث النزول**، ابن تيمية، حققه: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨.

٩٥. **شرح صحيح مسلم**، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢.

٩٦. **شرح نواقض الإسلام**، عبد الرحمن البراك، دار التدمرية، الطبعة السادسة، ١٤٣٦.

٩٧. **الشريعة**، محمد بن الحسين الآجُرِّي، حققه: عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠.

٩٨. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، ابن قيم الجوزية، حققه: زاهر بن سالم بلفقيه، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤١.

٩٩. **الشكر**، ابن أبي الدنيا، حققه: بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠.

(ص)

١٠٠. **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٠١. **صحيح ابن خزيمة**، محمد بن إسحاق ابن خزيمة، حققه: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

١٠٢. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل البخاري، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢.

١٠٣. **صحيح الترغيب والترهيب**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٠٤. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، حققه: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٣.

١٠٥. **صريح السنة**، محمد بن جرير الطبري، حققه: بدر يوسف المعتوق، الطبعة الثانية، ١٤٢٦.

١٠٦. **صفة الجنة**، ابن أبي الدنيا، حققه: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، مصر، مكتبة العلم، السعودية.

١٠٧. **الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: حسين بن عكاشة بن رمضان، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢.





(ط)

١٠٨. **طبقات الحنابلة**، ابن أبي يعلى، حققه: عبد الرحمن العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، طبعة ١٤١٩.

١٠٩. **طبقات الصوفية**، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

١١٠. **طرق حديث «إن لله تسعة وتسعين اسمًا»**، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حققه: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

١١١. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، ابن قيم الجوزية، حققه: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٤٠.

(ع)

١١٢. **عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة**، عبد الكريم نوفان عبيدات، دار إشبيليا، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩.

١١٣. **عالم الجن والشياطين**، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٣.

١١٤. **عالم الملائكة الأبرار**، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤٢٥.

١١٥. **العرش وما رُوِي فيه**، أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حققه: محمد بن خليفة التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١١٦. **العرش**، محمد بن أحمد الذهبي، حققه: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

١١٧. **العظمة**، أبو الشيخ الأصبهاني، حققه: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١١٨. **عقائد الشيعة الاثني عشرية سؤال وجواب**، عبد الرحمن بن سعد الشثري، دار التوحيد للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة للطبعة الجديدة، ١٤٣٧.

١١٩. **العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل برواية المروذي وغيره**، حققه: وصي الله بن محمد عباس، الدار السلفية، بومباي، الهند، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٢٠. **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**، محمد بن أحمد الذهبي، حققه: أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦.

(غ)

١٢١. **غريب القرآن**، ابن قتيبة الدينوري، حققه: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة ١٣٩٨.

(ف)

١٢٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

١٢٣. **فتح الباري**، ابن حجر العسقلاني، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، طبعة ١٣٧٩.

١٢٤. **الفَرق بين الفِرق**، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، حققه: محمد عثمان الخشت، مكتبة ابن سينا.

١٢٥. **الفرقان بين الحق والبطلان**، ابن تيمية، حققه: حمد بن أحمد العصلاني، دار أجيال التوحيد، الطبعة الأولى، ١٤٤١.

١٢٦. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، ابن تيمية، حققه: عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحيى، دار الفضيلة، الرياض.

١٢٧. **الفصل في الملل والأهواء والنِّحَل**، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.

١٢٨. **فضل الصلاة على النبي** ﷺ، إسماعيل بن إسحاق الجهضمي، حققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧.

(ق)

١٢٩. **قصة المسيح الدجال ونزول عيسى** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٣٠. **القول المفيد على كتاب التوحيد**، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٤.

(ك)

١٣١. **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية= النونية**، ابن قيم الجوزية، حققه: مجموعة من المحققين، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

١٣٢. **كتاب الصلاة**، ابن قيم الجوزية، حققه: عدنان بن صفاخان البخاري، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠.

١٣٣. **الكتاب**، سيبويه، حققه: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨.

١٣٤. **الكشف عن مقاصد أبواب ومسائل كتاب التوحيد**، عبد الرحمن البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٤٤.

١٣٥. **الكفاية في علم الرواية**، الخطيب البغدادي، حققه: أبو عبدالله السورقي، جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الطبعة الأولى، ١٣٥٧.

(ل)

١٣٦. **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤.

١٣٧. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**، ابن رجب الحنبلي، حققه: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠.

(م)

١٣٨. **المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين**، سيف الدين الآمدي، حققه: حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣.

١٣٩. **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى، حققه: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، طبعة ١٣٨١.

١٤٠. **المجالسة وجواهر العلم**، أحمد بن مروان الدينوري، مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، طبعة ١٤١٩.

١٤١. **مجمع الزوائد**، الهيثمي، حققه: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤.

١٤٢. **المجموع شرح المهذب**، يحيى بن شرف النووي، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة التضامن الأخوي، القاهرة.

١٤٣. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**، حققه: عبد الرحمن بن قاسم، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

١٤٤. **محك النظر**، أبو حامد الغزالي، حققه: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤٥. **مختصر الصواعق المرسلة**، ابن قيم الجوزية، حققه: الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥.

١٤٦. **مختصر العلو للعلي العظيم**، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٢.

١٤٧. **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية**، محمد بن علي البعلي، حققه: عبد العزيز بن عدنان العيدان وأنس بن عادل اليتامى، ركائز للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٤٠.

١٤٨. **مدارج السالكين**، ابن القيم، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٤٠.

١٤٩. **مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر**، محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٤١.

١٥٠. **مسألة في الصفات**، الخطيب البغدادي، حققه: عبد الله بن يوسف الجديع، مجلة الحكمة العدد الأول.

١٥١. **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، حققه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١.

١٥٢. **مسند أبي يعلى الموصلي**، حققه: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٠.

١٥٣. **مسند أحمد بن حنبل**، حققه: شعيب الأرناؤوط وغيره، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١.

١٥٤. **مسند الروياني**، محمد بن هارون الرُّوياني، حققه: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

١٥٥. **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، أحمد بن أبي بكر البوصيري، حققه: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣.

١٥٦. **المصنف**، أبو بكر بن أبي شيبة، حققه: كمال يوسف الحوت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٩.

١٥٧. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، حافظ بن أحمد الحكمي، حققه: محمد صبحي حلّاق، دار ابن الجوزي، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١٥٨. **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩.

١٥٩. **المعجم الأوسط**، الطبراني، حققه: طارق بن عوض الله وعبد المحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.

١٦٠. **المعجم الصغير**، الطبراني، حققه: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.

١٦١. **المعجم الكبير**، الطبراني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الثانية.

١٦٢. **معجم المناهي اللفظية**، بكر أبو زيد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٧.

١٦٣. **المغني في أبواب التوحيد والعدل**، القاضي عبد الجبار المعتزلي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

١٦٤. **المغني**، ابن قدامة المقدسي، حققه: عبد الله التركي وعبد الفتّاح الحلو، عالم الكتب، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧.

١٦٥. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، حققه: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢.

١٦٦. **المُفْهِم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**، أبو العباس القرطبي، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧.

١٦٧. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، أبو الحسن الأشعري، حققه: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، طبعة ١٤٣٠.

١٦٨. **ملحق تخريج المصطلحات الأربعة في القرآن**، الألباني، دار القلم، الكويت، الطبعة الثامنة، ١٤٠١.

١٦٩. **منهاج السنة**، ابن تيمية، حققه: محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦.

١٧٠. **المنهاج في شعب الإيمان**، الحسين بن الحسن الحَلِيمي، حققه: حلمي محمد فودة، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.

١٧١. **المواقف**، عضد الدين الإيجي، حققه: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٧٢. **ميزان الاعتدال**، الذهبي، حققه: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٢.

(ن)

١٧٣. **الناسخ والمنسوخ**، أبو جعفر النَّحَّاس، حققه: محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨.

١٧٤. **النبوات**، ابن تيمية، حققه: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.

١٧٥. **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**، ابن حجر العسقلاني، حققه: حمدي عبد المجيد السلفي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية، ١٤٢٩.

١٧٦. **نزل الأبرار بالعلم المأثور من الأدعية والأذكار**، محمد صديق حسن خان، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٧٧. **نصوص وتعليقات**، عبد الرحمن بن ناصر البراك، مؤسسة وقف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٤٤.

١٧٨. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**، محمد بن أبي الفيض الكتاني، حققه: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، الطبعة الثانية.

١٧٩. **نقض الدارمي على المريسي**، عثمان بن سعيد الدارمي، حققه: أحمد القفيلي، مكتبة النصيحة، المدينة النبوية، الطبعة الثانية، ١٤٣٥.

١٨٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ابن الأثير، حققه: محمود الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩.



الفهرس التفصيلي

- **مقدمة التحقيق** ٥
- **الصفحة الأولى من المخطوط** ٩
- **الصفحة الأخيرة من المخطوط** ١٠
- **متن كتاب: «مجردة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار»** ١١
- **مقدمة الشرح** ١٦
  - علم الشريعة نوعان ١٦
  - ترجمة ابن شكر ١٧
- **أصل الدين وما يجب اعتقاده على جميع المسلمين** ١٩
  - شرح خطبة المصنف ١٩
  - معنى «أما بعد»، وكلام المفسرين وشرَّاح الحديث واللغوين فيها ٢٣
  - ما يجب اعتقاده على جميع المسلمين ٢٣
  - معنى الاعتقاد ومتعلقه ٢٤
  - معنى اسم «الواحد» و«الأحد» ٢٤
  - أنواع التوحيد ٢٥
  - إطلاق «الفرد» على الله عَزَّوَجَلَّ ٢٦
  - معنى اسم «الصمد» ٢٦
  - نفي الوالد والولد والكفؤ تأكيد لكمال أحَديَّته وصمديَّتِه ٢٧
  - الإيمان بما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه إثباتًا ونفيًا ٢٨
  - وسطية مذهب أهل السنة ٢٨
  - الأصول الثلاثة التي قام عليها مذهب أهل السنة في الصفات ٢٩

● **اعتقاد أهل السنة في القرآن وفي كلام الله** ٣٠
- فضائل القرآن ومنزلته ٣١
- حفظ الله للقرآن إلى آخر الدهر ٣١
- القرآن كلام الله على الحقيقة ٣٢
- الرد على المصنف في قوله عن القرآن: (قديمٌ) ٣٣
- القرآن كلام الله كيفما تصرَّف، والرد على الأشاعرة ٣٤
- آيات تدل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ٣٥
- الرد على من قال بخلق القرآن ٣٨
- الرد على الواقفة ٤٠
- الرد على من زعم أنَّ القرآن الذي هو صفة الله لم يصل إلينا ٤١
- كلام الله لموسى دون واسطة ٤٣
- -بيان أن المؤلف يذهب مذهب السالمية في مسألة كلام الله ٤٤

● **ما يجب اعتقاده في أسماء الله** ٤٦
- معنى حديث: «**إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا**» ٤٦
- أسماء الله غير محصورة بعدد ٤٧
- رواية سرد الأسماء الحسنى غير ثابتةٍ عن النبي ﷺ ٤٨
- معنى إحصاء أسماء الله الحسنى ٤٨
- أسماء الله متفاضلة ٤٩
- معنى اسم الله «الوتر» ٤٩
- الرد على من أثبت الفضيلة لكل وتر ٤٩
- توضيح مسألة الاسم للمسمى ٥١
- لا يصح إطلاق القول في الأسماء الحسنى أنها مترادفةٌ ولا متباينةٌ ٥٢

● **ما يجب اعتقاده في الأسماء والصفات** ٥٣
- وجوب الإيمان بالأسماء وما تتضمنه من الصفات ٥٣
- المريد ليس من أسمائه ٥٤

- الإيمان بأنَّ لله عَزَّوَجَلَّ نفسًا ٥٤
- إطلاق لفظ الذات على الله ٥٤
- صفة الوجه والعينين ٥٥
- صفة اليدين ٥٦
- صفة الأصابع ٥٧
- صفة القدمين ٥٨
- صفة الضحك ٥٨
- صفة النزول ٥٩
- الأصول الثلاثة التي يقوم عليها مذهب أهل السنة في الصفات ٦٠
- موقف نفاة الصفات إما التأويل أو التفويض ٦١
- توجيه كلام المصنف: (وجميعُ هذه يجب إثباتها لله صفاتٍ لذاته) ٦٢
- لا يقال: إنَّ صفات الله هي الله، ولا يقال هي غيره ٦٣
- -المراد بنفي الكيفية ٦٤
- -توجيه كلام الأئمة في نفي التفسير ٦٦

● **من الأصول العقلية أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات** ٦٧
- توضيح أصل: القول في الصفات كالقول في الذات ٦٧
- الأدلة على صفة العلو والاستواء ٦٩
- معنى الاستواء ٧٠
- -الرد على من أنكر تفسير الاستواء بالاستقرار ٧١
- الفرق بين العلو والاستواء ٧٢
- إثبات العلوِّ والاستواء لله تعالى يتضمَّن نفي الحلول ٧٣
- معنى قول أئمة السنة أنه تعالى بائن من خلقه ٧٣
- الله فوق مخلوقاته وهو مع عباده بعلمه وقدرته ٧٤
- توجيه قول المصنف: (وأنه بائنٌ من عرشه) ٧٤
- الاستواء معلوم، والكيف غير معقول ٧٥

- التفصيل في تكفير من جحد شيئًا من صفات الله ٧٦
- نفاة الصفات فريقان: أهل تفويض وأهل تأويل ٧٦
- معنى قول المصنف: (فتعالى الله أن يكون مدرَكًا بحدٍّ أو مُكيَّفًا بصورة خَلقٍ) ٧٧
- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] رد للتشبيه والتمثيل ٧٨

● أصول الإيمان وأمور اليوم الآخر ٧٩

- رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ٧٩
- أدلة إثبات الرؤية ٧٩
- أوجه تشبيه رؤية المؤمنين لربهم برؤية الناس للشمس والقمر ٨١
- مذهب الجهمية والمعتزلة في الرؤية ٨٢
- مذهب الأشاعرة في الرؤية ٨٣
- اختلاف العلماء في رؤية الكفار لربهم يوم القيامة ٨٣
- وجوب الإيمان ببقية أصول الإيمان ٨٥
- الإيمان بالملائكة ٨٦
- الإيمان بالكتب ٨٧
- الإيمان بالرسل ٨٧
- الإيمان باليوم الآخر ٨٨
- خلق الجنة والنار وبقاؤهما ٨٨
- الشفاعة وأنواعها ٩٠
- الإيمان بالحوض ٩٢
- الإيمان بالصراط ٩٤
- الإيمان بالميزان ٩٥
- بعض أشراط الساعة الكبرى ٩٦
- الإيمان بالبعث ٩٧
- عرض العباد على الله للحساب ٩٩

- الإيمان بفتنة القبر وعذابه ونعيمه ٩٩
- الإيمان بالجن والشياطين ١٠٣
- لا يُخلَّد في النار أحدٌ ممن في قلبه أدنى قَدْرٍ من الإيمان ١٠٥
- عقيدة الخوارج والمعتزلة في المصر على الكبيرة ١٠٦

● **الإيمان بالقدر** ١٠٨
- معنى القدر ١٠٩
- الفرق بين الأمور المقدَّرة والتقدير الذي هو حكم الله تعالى ١٠٩
- مراتب الإيمان بالقدر ١١١
- المنكرون للقدر طائفتان ١١٢
- تعريف الإيمان الشرعي عند أهل السنة ١١٣
- الأدلة على أن الإيمان قول وعمل ١١٤
- عقيدة المرجئة في الإيمان ولوازم ذلك والرد عليهم ١١٥
- عقيدة الكرامية في الإيمان ١١٧
- عقيدة الجهمية في الإيمان ١١٧
- ولا يكون الإنسان مؤمنًا إلا باجتماع الاعتقاد والإقرار والعمل ١١٨
- الإيمان يزيد وينقص ١١٩
- تفاوت التصديق في القلب بحسب مصادر العلم ١١٩
- خروج الشخص بفعل الكبيرة من اسم الإيمان المطلق إلى اسم الإسلام ١٢٠
- لا يخرج الشخص من الإسلام إلا بالشرك، وما في حكمه من أنواع الكفر ١٢١
- حكم تارك الصلاة ١٢٢
- الفرق بين الإسلام والإيمان ١٢٣
- مرتكب الكبيرة لا يُعطى اسم الإيمان المطلق، ولا يُسلَب مطلق الاسم ١٢٤
- لا نكفِّر أهل التوحيد بكل ذنب ١٢٥
- التوبة توجب مغفرة كلِّ الذنوب بما في ذلك الكفر ١٢٥
- شروط التوبة ١٢٦



- من مات من غير توبةٍ هو تحت المشيئة ١٢٦
- الجمع بين قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] ١٢٧
- الشهادة لمعيّن بالجنة أو النار ١٢٨
- الاستثناء في الإيمان ١٣٠

● ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ ١٣٢

- الأدلة على أن نبينا محمدًا ﷺ هو أفضل الأنبياء ١٣٣
- القرآن هو أفضل الكتب ١٣٤
- أمة النبي ﷺ هي خيرُ الأمم ١٣٥
- خير هذه الأمة أصحاب محمد ﷺ ١٣٥
- الأدلة على فضل الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ١٣٦
- أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ١٣٧
- الاختلاف في المفاضلة بين عثمان وعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ١٣٧
- هل كانت خلافة أبي بكر بالنص أم باختيار الصحابة؟ ١٣٨
- عقيدة الرافضة في الصحابة ١٣٩
- الترحم والترضي عن الصحابة هو سبيل المؤمنين ١٤٠
- منهج أهل السنَّة هو الإمساكُ عما شجر بين الصحابة ١٤١
- أقسام الناس الخائضين فيما جرى بين الصحابة ١٤٢
- وجوب الإيمان بآيات الأنبياء ١٤٢
- كلمة «معجزات» من اصطلاح المتكلمين ١٤٣
- الإيمان بكرامات الأولياء ١٤٤
- معنى خوارق العادات ١٤٤
- الخوارق ترجع إلى ثلاثة معانٍ ١٤٤
- عقيدة المعتزلة في كرامات الأولياء ١٤٦
- خاتمة وفيها بيان موافقة المصنف لعقيدة أهل السنة إلا إطلاق «القديم» على القرآن ١٤٦
- التنبيه على خطأ الناسخ في قوله: (صفر الخير) ١٤٧

- قائمة المراجع ١٤٩
- الفهرس التفصيلي ١٦٨
- الفهرس الإجمالي ١٧٥

الفهرس الإجمالي

- مقدمة التحقيق ٥
- الصفحة الأولى من المخطوط ٩
- الصفحة الأخيرة من المخطوط ١٠
- متن كتاب: «مجردة لوامع الأنوار في عقائد أهل الآثار» ١١
- مقدمة الشرح ١٦
- أصل الدين وما يجب اعتقاده على جميع المسلمين ١٩
- اعتقاد أهل السنة في القرآن وفي كلام الله ٣٠
- ما يجب اعتقاده في أسماء الله ٤٦
- ما يجب اعتقاده في الأسماء والصفات ٥٣
- من الأصول العقلية أن الكلام في الصفات كالكلام في الذات ٦٧
- أصول الإيمان وأمور اليوم الآخر ٧٩
- الإيمان بالقدر ١٠٨
- ما يجب لأصحاب رسول الله ﷺ ١٣٢
- قائمة المراجع ١٤٩
- الفهرس التفصيلي ١٦٨
- الفهرس الإجمالي ١٧٥



للاطلاع على قائمة حديثة
لمؤلفات الشيخ ومتجر الكتب:
امسح الرمز

ISBN 978-603-05-4304-5